التوازن و الخلل في علاقات التحالف العلاقات السعودية / الأمريكية (أنموذجاً)

المدرسة بسمة خليل نامق الأوقاتي*

مقدمة

يقول جوزيف فرانكل* ((تتخذ العلاقات بين الأفراد أشكالا عدة متباينة ، فمن ناحية يمكن أن تكون هذه العلاقات مبنية على الحب الخالص ، كالحب الذي تمنحه الأم لطفلها و من ناحية عكسية تماما يمكن أن تقوم العلاقات على الخوف و الكراهية و مثال ذلك ما يحسه رجل الكهف عندما يواجه رجلا غريبا". و العلاقات بين الجماعات الإنسانية مشابهة للعلاقات بين الأفراد و إن كان من المستحيل أن تكون قائمة على الحب الخالص ، كما أن من النادر أن تقوم على الكراهية و الخوف الصرفين. و الحدان اللذان تتراوح علاقات الجماعات بينهما يسميان في العادة : التعاون عندما لا يوجد أي نزاع ، و القتال حين يصبح النزاع من الحدة بحيث ينعدم التواصل و بحيث يكون القضاء على الخصم الهدف الوحيد المقبول. و أكثر المواقف تقع بين هاتين النقطتين و نستطيع أن نسميها بالمنافسة أي حيث يوجد نزاع ، بيد أنه ليس مطلقا" بسبب وجود مصالح مشتركة تخفف من حدته و كثيرا" ما ينتهي إلى حل وسط. و العلاقات بين الدول تحكمها طبيعة الدول و طبيعة المجتمع الدولي))[١].

تعد المصالح (القومية / الوطنية) التي تشكل عنصرا" أساسيا" و جوهريا" في بناء السياسات الخارجية للدول لا يمكن أن ينحصر تحقيقها و تأمينها بأساليب التنافس و الصراع فقط إنما بالتأكيد هناك فسحة لأساليب التعاون لتأخذ دورها في هذا المجال كذلك فان الأمن و السلام اللذان هما في حد ذاتهما مطلبان أساسان للدول كما هما كذلك بالنسبة للأفراد العاديين فإن واحدا" من أهم أوصاف الإستراتيجية العليا الناجحة للدول إنها تأخذ في حساباتها الكيفية التي سيكون عليها شكل السلام عقب أي حالة تنافس و صراع.

فالتخطيط لبناء علاقات تعاون و تحالف دولي سليمة مستوعبة استيعاباً جيداً لحقائق الواقع بمختلف أجزائها البارزة و الضامرة و الحسابات و الموازنات الدقيقة بين الأهداف و الإمكانيات و التوظيف السليم و الفعال لكل ذلك خدمة" للأهداف و المصالح (القومية / الوطنية) و المحافظة على حرية الإرادة و الحركة من خلال تأكيد مفهوم سيادة الدولة في كافة الاتفاقيات إن ذلك كله إنما يعد من المباديء الأساسية للسياسات الخارجية للدول العريقة و الفاعلة.

إن دراستنا لتجربة الدولة السعودية في هذا المضمار و الكيفية التي ارتسمت بها السياسة الخارجية لهذا البلد عبر مراحل الزمن المختلفة هو بالتأكيد يقدم مادة علمية مفيدة و تجربة غنية لإحدى الدول الأساسية والمؤثرة في محيطنا الإقليمي و هذه المحاولة المتواضعة ما هي إلا نقطة في كتاب زاخر لا زالت كليتنا العريقة و أساتذتنا الأجلاء عاملين على أغنائه.

سنحاول في دراستنا هذه أن نستقصي مفاصل التوازن و الخلل في قضايا التعاون و التحالف من خلال ملاحظة أين و كيف جرى و يجري ذلك في تجربة حية و واقعية و مهمة في منطقتنا أثرت و تؤثر و ستبقى تؤثر في مجريات أحداثها.

تنقسم الدراسة على قسمين أساسين بمباحث عدة حيث تم تخصيص القسم الأول منها لمحاولة فهم الجذر التاريخي للتفاعلات و ترقب نشأتها منذ بذرتها الأولى و من ثم متابعة مسيرة تطورها اللاحقة و الكيفية التي صارت عليها و كيف انطبعت الأمور بالطابع الذي نعرفه عليها اليوم و نعايشه ، متلمسين في هذا السياق المفاصل الهامة و الأركان الأساسية و مركزين عليها قدر الإمكان.

أما القسم الثاني فقد تم تخصيصه لمحاولة تحليل و فهم الآليات و العناصر الفاعلة و المؤثرة في رسم نمط السياسة الخارجية السعودية تجاه الولايات المتحدة الامريكية و استكشاف الصلة بين العوامل و المظاهر التي انطبعت بها هذه العلاقة الطويلة و العميقة و ما ارتسم عليها من ملامح معروفة. و بالتالي فقد خصص هذا القسم لمحاولة تلمس أفاق تطور هذه السياسة بالاعتماد على معطيات الحاضر و استيعاب حركة تفاعله و بالخصوص منعطف أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ م.

---

* جامعة بغداد / كلية العلوم السياسية / وحدة البحوث السياسية.

* أستاذ انكليزي في حقل العلوم السياسية مختص بموضوع العلاقات الدولية و لديه العديد من الكتب و المؤلفات في هذا المجال مثل كتاب العلاقات الدولية مترجم الى اللغة العربية.

[١] جوزيف فرانكل ، العلاقات الدولية ، ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي ، دار تهامة للنشر و المكتبات ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٩٨٤ م ، ص ٨٩.

إن تطور السياسة الخارجية السعودية و أفاق العلاقة بينها و بين الولايات المتحدة الأمريكية هي بالتأكيد مسألة هامة لكل دول الإقليم و منها و على الأخص العراق الأمر الذي يقتضي منا كمتخصصين العناية به بشكل متميز بالاستناد الى بعض الدراسات الجادة في هذا المضمار و منها على سبيل المثال لا الحصر :

١- العلاقات السعودية الأمريكية . د. محمد علي تميم . دار ميزوبوتاميا للنشر و الطباعة و التوزيع . بغداد ٢٠٠٩.
٢- الاسلام و الغرب / العلاقات السعودية الامريكية نموذجاً (١١ أيلول / سبتمبر) للاستاذ يوسف ابراهيم الجهماني . دار حوران للطباعة و النشر و التوزيع . دمشق ٢٠٠٣.
٣- العلاقات السعودية الأمريكية و أمن الخليج . في وثائق غير منشورة (١٩٦٥ – ١٩٩١) . الدكتور وليد حمدي الأعظمي . دار الحكمة . لندن . الطبعة الأولى ١٩٩٢
٤- أمن الخليج بعد الحرب الباردة . عبد الجليل زيد مرهون . دار النهار . بيروت . الطبعة الأولى . ١٩٩٧

نأمل أن تكون هذه الدراسة و موضوعها محل عناية كل الإخوة الباحثين و المختصين لاغناء موضوعها الهام بالآراء و الأفكار بالاستناد إلى الغنى العلمي و المعرفي الذي يمتلكونه بما يخدم و ينفع موضوع دراسات العلاقات الدولية.

القسم الأول : نظرة تاريخية عن نشأة و تطورها الدولة السعودية

يمكن للمطالعة التاريخية أن تقدم لنا عنصراً مفيدا" و صحيحا" من الناحية العلمية في الكثير من الدراسات في حقل العلوم الإنسانية ذات العلاقة بحركة الإنسان فردا أو جماعة أو مجتمع. فتاريخ موضوع معين إذا ما أحسن تناوله فانه يمكن أن يقدم لنا رؤيا واضحة لصيرورة الحدث و لاستجلاء فهمه ، و إعطاء التقدير المناسب لعامل الزمن الذي يشكل البعد الرابع في عالمنا الذي نعيشه كما يقول الفيزيائي الشهير ألبرت اينشتاين.

إن فهما" صحيحا" متكاملا" للسياسة الخارجية لأي دولة و منها السياسة الخارجية للدولة السعودية و لطبيعة علاقاتها مع الولايات المتحدة الأمريكية يستلزم بلا شك التعرف على الأسس التي قامت عليها هذه الدولة و لطبيعة نشوء نظامها السياسي و العوامل المفصلية المؤثرة فيه باعتبار إن هذا الجانب عنصر مؤثر بشكل كبير و محدد أساسي من محددات السياسة الخارجية و هذا مما يستدعي إفراد جزء أولي يسير من صفحات هذا البحث للوصول إلى هذه المعرفة لهذا الجانب.

المبحث الأول : تاريخ الدولة السعودية

قام كيان الدولة السعودية على أجزاء كبيرة من أراضي شبه الجزيرة العربية و بالأخص الأجزاء المركزية التي تحتل القلب منها و التي كانت تسمى أراضي نجد بالإضافة إلى الأقاليم و المناطق الأخرى الملاصقة لها*. لقد كانت هذه المناطق الوسطيه من شبه الجزيرة و بسبب طبيعتها الصحراوية و ترامي أطرافها و صعوبة مسالكها و قلة عمرانها و أعداد ساكنيها فقد ظلت بعيدة عن سيطرة و سلطان الدولة اليومي المباشر على الرغم من أن الدولة العثمانية كانت تبسط سيطرتها الاسمية المعنوية[٢] عليها حيث تركت الشؤون التفصيلية المباشرة بالمطلق لسلطان أمراء و شيوخ القبائل بل و حتى الدول الاستعمارية التي كانت تتكالب على سواحل و جزر و مناطق الخليج لم تكن تعير أي اهتمام لهذه المناطق التي تتوسط الصحاري فكان أن ظلت هذه المناطق تدار لردح طويل من قبل سكانها المحليين عبر أمراء مناطقها و شيوخ قبائلها الذين لم يكن لديهم ذلك الأفق السياسي حتى ظهور الدولة السعودية أول مرة عقب الاتفاق الذي جرى بين كل من أمير الدرعية محمد بن سعود و بين رجل الدين الناشط ذو المنهج المتشدد محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٤٤م[٣].

لقد أسهم الانعزال الذي كانت تعيشه هذه المناطق من شبه الجزيرة في شيوع حالات فقر مركبة تشمل بالإضافة إلى الفقر السياسي الفقر المدني و الفقر الثقافي بمعناه الواسع العميق و قد قدمت هذه البيئة العطشى لكل شيء فرصة مناسبة لإنبات فكر و منهج ديني لشاب متشدد هو محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣ – ١٧٩١م) وعلى الرغم من أن أراءه و أفكاره و دعوته و أسلوبه المتشدد قد واجه المشاكل إلا أن الظروف قد سمحت له

---

* كمناطق الإحساء و القطيف و الحجاز و القصيم و عسير و نجران و لمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة الخارطة المرفقة.

٢ كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة التاسعة ، تموز ١٩٨١ م ، ص ٧٤١

٣ راجع في هذا الشأن : د. عبد الفتاح حسن أبو علية ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث و المعاصر ، دار المريخ للنشر ، الرياض ١٩٨٦ ، ص ١١ –١٣.

بالمداومة و المتابعة متنقلا بين أكثر من قرية و مدينة حتى حل في مدينة الدرعية مركز إمارة آل سعود[٤] في عام (١٧٤٤م) ملتجأ" إليها هربا" من مضايقات و تهديدات مشايخ و أمراء المناطق الأخرى المجاورة.

إن هذا التاريخ الذي شهد ميلاد الاتفاق الأساسي و الذي كان يمثل نقطة البداية لظهور الدولة السعودية في العصر الحديث قد أشر في نفس الوقت الطبيعة العقائدية (الأيديولوجية) لهذه الدولة حيث تبادل الأمير محمد بن سعود و الشيخ محمد بن عبد الوهاب العهد بنصرة أحدهما للأخر في مساعيه. و المصادر التاريخية و الكثير من الدراسات و البحوث في هذا المجال[٥] تروي تفاصيل القصة على الشكل الآتي: ((... وبعد حديث إيماني مؤثر بين الاثنين قال محمد بن سعود : يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه ، وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به ، والجهاد لمن خالف التوحيد، ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين : نحن إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله، وفتح الله لنا و لك البلدان ، أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا ، والثانية إن لي على الدرعية قانوناً آخذه منهم في وقت الثمار ، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً. فرد الشيخ عليه في حصافة : أما الأولى : فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم ، وأما الثانية : فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها . فبسط محمد بن سعود يده ، وبايع الشيخ على دين الله ورسوله ، والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[٦]. و بالرغم من أن شدة و حرارة هذا الاتفاق بين الجانبين قد خفت شدتها بفعل عوامل الزمن و التغيرات الكثيرة المتعاقبة التي حلت بالدولة السعودية و تقلبها بين الاختفاء و معاودة الظهور و لأكثر من مرة و ارتباطاتها القبلية و الدولية المتشعبة اللاحقة إلا أن التزام العائلة المالكة السعودية بالعهد الأولي بين جدهم محمد بن سعود و الشيخ محمد عبد الوهاب قد بقي ملقي بظلاله على مسيرة الدولة عبر تاريخها و إن بدا بدرجات مختلفة[٧].

في هذا الإطار و نحن نتكلم عن نشأة الدولة السعودية و المرحلة الأولى من تاريخها لا يجب أن يفوتنا التنويه عن وجود أراء لبعض المعارضين لهذه الدولة تصل بهجومها و نقدها إلى حد اعتبار إن الدولة السعودية بل وحتى حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الدينية إنما هي كلها نتاج مؤامرات أسهمت بريطانيا فيها بشكل أو بأخر و ينقلون حول ذلك القصص التي تحتاج إلى تمحيص و أدلة علمية قاطعة قبل أن يمكن تبنيها في البحوث العلمية و من ذلك الكتاب الذي ألفه ناصر السعيد و هو مواطن سعودي معارض من منطقة حائل التي كانت في فترة مركزا لحكم ال رشيد (الشمريين) المتحالفين مع الأتراك و الذين نافسوا الدولة السعودية الثانية و اسقطوا الدرعية عام ١٨٨٧ م[٨] .

لقد استمرت مسيرة الدولة السعودية الأولى (١٧٤٤- ١٨١٨) بالتطور و نما نشاطها و امتد تأثيرها من بقعة صغيرة وسط الجزيرة ليشمل كل المدن و الإمارات القبلية وصولا" إلى مشيخات سواحل الخليج العربي في الشرق و بحر العرب في الجنوب و أطراف ولايات البصرة و بغداد العثمانية في الشمال و منطقة الحجاز في الغرب ، و قد جلب هذا التطور و النشاط انتباه و اهتمام القوى الاستعمارية الكبرى آنذاك و بالأخص

---

[٤] آل سعود هم الأسرة المسماة باسم جدها سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي و التي تنتسب إلى عنزة نسباً أو صلة حسب الآراء المختلفة للنسابة العرب و قد كان أجداد هذه الأسرة يسكنون في نجد ثم ارتحلوا إلى منطقة القطيف و أنشأوا فيها مدينة الدرعية في فترة ما قبل القرن الخامس عشر الميلادي ليعودوا في هذا القرن إلى منطقتهم الأولى هذه فيمنحهم أمير حجر اليمامة (الرياض حاليا") و هو من ذات قبيلتهم ارضا" في وادي حنيفة بنوا فيها مدينة أسموها بالدرعية أيضا" و صارت تحت حكمهم.
المصدر : د. سلمان بن سعود بن عبد العزيز ال سعود ، تاريخ الملك سعود : الوثيقة و الحقيقة ، دار الساقي ، لندن ، ج ١ ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٧.

[٥] يعتمد التاريخ الرسمي للدولة السعودية في هذه المرحلة بشكل كبير على كتابات اثنين من المؤرخين السعوديين الذين عاصروا أحداثها و هما عثمان ابن بشر و كتابه (عنوان المجد في تاريخ نجد) المجلد الأول ، القاهرة ١٩٤٦.
و حسين ابن غنام و كتابه (روضة الأفكار و الالهام لمرتاد حال الامام و تعداد غزوات ذوي الاسلام) القاهرة ١٩٤٩.

[٦] نشأة الدولة السعودية – التطور التاريخي ، يوسف بن علي رابع الثقفي ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي العالمي "المملكة العربية السعودية في مائة عام" المنعقد في الرياض في ٢٤ – ٢٨ كانون الثاني ١٩٩٩ م و الذي نشرت بحوثه من قبل دارة الملك عبد العزيز حيث يمكن مراجعة البحث على موقع الدارة على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) :

http://www.darah.org.sa/bohos/Data/2/7-1.htm

[٧] عن تفاصيل نشأة الحركة الوهابية يمكن مراجعة كتاب ابن بشر (عنوان المجد في تاريخ نجد) مصدر سبق ذكره و الطبعات اللاحقة له.

[٨] راجع في هذا الشأن : (تاريخ ال سعود) للمعارض ناصر السعيد على موقعه بالاضافة الى كتب اخرى له في هذا الشأن على الرابط التالي :

http://www.alhramain.com/text/kotob/kotoba.htm

البريطانيين (باعتبارهم القوة الإمبراطورية النافذة حينها) حيث لم يكونوا في البداية قادرين على تمييزه عن سائر النزاعات القبلية الشائعة و المنتشرة في المنطقة و لكونه يقع في مناطق قلب شبه الجزيرة العربية النائية فاتخذوا جانب الحكمة بتركه و الابتعاد عنه خوفا من الانجرار و التورط فيه فيستنزفهم بلا طائل إلا أن دوام قوته و فاعليته و انتشاره و امتداد تأثيره جعلته يفرض نفسه على الجميع ليعيدوا حساباتهم الأمر الذي دفع البريطانيين و الألمان و الفرنسيين لإرسال رحلات المستكشفين و الجواسيس و تنشيط المراسلات الدبلوماسية مع العائلة السعودية[٩].

من الجدير بالملاحظة هنا و استكمالاً لرؤية صيرورة الدولة السعودية أن نعرف أن طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية العثمانية و قوى النفوذ القبلي في مناطق وسط والجزيرة العربية وشرقها مرت هي الاخرى بأطوار مختلفة تناوبت بين قلة الاهتمام و التركيز نتيجة فقر المنطقة في حينها و قلة أهميتها و انشغال العثمانيون بالتوسع في اوربا أو مواجهة الخطر الصفوي و في المراحل اللاحقة و بعد نمو و تطور الدولة السعودية غير العثمانيون من اسلوب تعاملهم مع المنطقة بأن حاولوا توجيه قوى ولاياتهم في المناطق المحيطة بها لتتعامل مع تلك الدولة المتمردة الناهضة حيث وجهت ولاتها في بغداد و البصرة للتعامل معهم و محاولة الحد من تطورهم و نفوذهم ثم لاحقاً استعانت بالخديوي محمد علي والي مصر الذي قضى في النهاية على حكم الدولة السعودية الاولى[١٠].

في عام ١٧٩٩ م أرسلت بريطانيا السير رينود (Reinaud) و هو أحد مساعدي الوكيل البريطاني المستر ماينستي (Manisty) إلى الدرعية رئيسا" للبعثة البريطانية الرسمية إلى العاصمة السعودية ، لأجراء محادثات مع المسؤولين السعوديين حول إيجاد نوع من العلاقات الودية و حسن المعاملة بين الدولتين بعدما اعترى العلاقة بعض التوتر نتيجة الاصطدام الذي حصل بين حراس الوكالة الشرقية في الكويت و الحراس الكويتيين من جهة مع القوات السعودية المهاجمة من جهة أخرى و الذي لم يكن بدوره هو المصدر الوحيد للاحتكاك و التشنج في العلاقة بين الطرفين حيث كانت قد سبقته سلسلة من الإشكالات من بينها الصراع الذي كان قائما بين حكام مسقط حلفاء البريطانيين من جهة مع القواسم حلفاء السعوديين من جهة أخرى[١١]. لقد حاول رينود في محادثاته مع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود الحصول على وعد بتامين سلامة بريد شركة الهند الشرقية الذي يمر بين البصرة و حلب عبر الطريق الصحراوي الذي تقطن بالقرب منه قبائل سعودية. يبدو إن مهمة رينود هذه لم تحقق نجاحا كبيرا فقد كانت الحساسية التي تتميز بها الدولة السعودية الأولى ضد الأجانب النصارى كفيلة بأن تفشل هكذا تطور في العلاقات ، كذلك فان موضوع الدبلوماسية بين الدولة السعودية الأولى و الدول الأجنبية النصرانية ، لم يكن مفتوحا" بل كانت الدولة السعودية تتجنبه قدر المستطاع انطلاقا مما يفرضه عليها الموقف الداخلي و البنية السياسية و الدينية التي قامت عليها الدولة و مما يدعم هذا التصور إننا نشاهد أن الجانب البريطاني هو من كان دائما" البادىء بعمليات الاتصال حيث جسدت بعثة رينود ذلك و كذلك المراسلات التي كانت قائمة مع المعتمد البريطاني في ميناء بوشهر الإيراني. لقد كانت بريطانيا مقتنعة بأن الدولة السعودية الأولى صارت تشكل قوة محلية مؤثرة في الخليج و من هنا كان لابد لها من أن تتعامل معها بشكل لا يغضبها ، فكانت تحاول أن تظهر بمظهر الطرف الوسيط المحايد في نزاعات المنطقة فيما هي في الحقيقة تميل حيثما ما مالت مصالحها[١٢] ، كذلك هي كانت تفكر و تخطط لمد نفوذها شمالا" في أرض العراق و خصوصا" في منطقة البصرة و تشعر بأن الدولة السعودية قوة مؤثرة في خاصرة هذا المشروع.

لقد كان الموقف البريطاني في عمومه يبدو غامضاً في شأن الدولة السعودية الأولى و قد تنازعته اراداتان تمثلت الأولى برغبة شركة الهند الشرقية في التدخل عميقا" في شؤون المنطقة و مد خطوط العلاقة مع القوى المؤثرة فيها فيما الإرادة الأخرى المتمثلة بإرادة وزارة الخارجية البريطانية في لندن في تجنب الانغماس في قضايا و تفاصيل شؤون المنطقة المعقدة و خارجة عن سياق العلاقات الدولية الرصينة.

لقد أفصحت بريطانيا عن كراهيتها للدولة السعودية الأولى بعد سقوط الدرعية على يد إبراهيم باشا عام ١٨١٨م حيث كانت لا ترغب أبدا" أن ترى دولة قوية محلية تجاورها في الخليج العربي لأن ذلك يشكل مصدر قلق و توتر و إزعاج بالنسبة لها و تهديدا" كامنا" لمصالحها و قد ظهر ذلك جليا" حين أرسلت بريطانيا الحاكم العام في الهند في ذلك الوقت جي اف سادلر (G. F. Sadlier) إلى الدرعية ليهنيء إبراهيم باشا بنجاحه

---

[٩] د. فتحية النبراوي ، د. محمد نصر مهنا ، الخليج العربي : دراسة في تاريخ العلاقات الدولية و الاقليمية ، منشأة المعارف في الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص١٣٩ – ١٤٦ ، كذلك ص ١٦٥ - ١٦٨.

[١٠] د. فتحية النبراوي ، المصدر السابق ، ص ٩٨ – ٩٩ ، كذلك انظر عبدالفتاح حسن أبو علية ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١١ – ١١٣.

[١١] راجع كتاب الدكتور صالح العابد ، دور القواسم في الخليج العربي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص ٨٠ - ٨١

[١٢] راجع كتاب لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، دار الفارابي ، ط ٧ بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٦٦

بالقضاء على الدولة السعودية الأولى. كما اتضح هذا الموقف من السرور الذي عبر عنه المسؤولون البريطانيون من أراء و ما ألصقوه بها من تهم و صفات جارحة[١٣].

عقب انهيار الدولة السعودية الأولى و سقوطها باستسلام رابع حكامها عبد الله بن سعود إلى إبراهيم باشا في في ٩ أيلول عام ١٨١٨ م و من ثم إعدامه لاحقا" في استانبول حاول بعض الأمراء الفارين العمل على إعادة بناء الدولة مجددا" وكانت المحاولة الأولى لاستعادة الحكم السعودي تلك التي قام بها الأمير مشاري ابن سعود الكبير ، وكان مشاري أحد الأسرى الذين أرسلوا إلى القاهرة ، ولكنه هرب، واتجه إلى الدرعية في عام ١٨١٩م والتجأ إلى حاكمها محمد بن مشاري بن معمر الذي لم يلبث أن قبض عليه وسلمه إلى السلطات المصرية فتم سجنه وقتله.

وكانت المحاولة الثانية بقيادة الأمير تركي بن عبد الله ، وكان هذا الأمير قد فر إلى الخرج في أثناء سقوط الدرعية ، ثم عاد ، وتمكن من جمع الرجال حوله ، وبعد معارك شديدة مع الحامية المصرية ، و حصوله على تأييد رؤساء القبائل له ، تمكن من دخول الدرعية عام ١٨١٩م وإلقاء القبض على ابن معمر وإيداعه السجن . ثم أتبع ذلك باستيلائه على الرياض واتخاذه عاصمة جديدة لدولته.

ولم تمض مدة وجيزة حتى فوجىء الإمام تركي بوصول حسين بك إلى القصيم من أجل إعادة سيطرة الحكم العثماني على جميع منطقة نجد ، واستبسل الإمام تركي في مقاومتهم عندما وصلوا الرياض ، ولكنه في النهاية فشل و خرج متسللاً في ظلام الليل دون علم الأعداء ثم تمكن الإمام تركي من العودة من جديد حيث خرج هذه المرة من بلدة الحلوة جنوب نجد ، و وصل الرياض ، و حاصرها في عام ١٨٢٤م مما اضطر قائد الحامية العثمانية إلى الاستسلام. وهكذا تم إجلاء الأتراك مرة أخرى من الرياض ، بفضل جهود الإمام تركي بن عبد الله الذي قضى ما يقارب اثني عشر عاماً في توطيد الأمن والاستقرار. وكان يهدف إلى إعادة أمجاد الدولة السعودية الأولى وما حققته من توحيد لكثير من المناطق ، ولكن القدر لم يمهله لتحقيق مشروعاته حيث قتل بتدبير من ابن أخته مشاري بن عبد الرحمن وذلك عام ١٨٣٣م[١٤].

لم يمض سوى أربعين يوماً من وفاة الإمام تركي بن عبد الله ، حتى وصل ابنه فيصل بن تركي إلى الرياض قادماً من الإحساء ، فانتقم لأبيه ، وقتل مشاري بن عبد الرحمن ، واستولى على مقاليد السلطة . ومنذ بداية حكمه في عام ١٨٣٤م بدأت الاشتباكات بينه وبين محمد علي (حاكم مصر) ، وكانت أولى الحملات التي أرسلها محمد علي إلى نجد بقيادة إسماعيل آغا في عام ١٨٣٩م ، وكان يرافقها أحد أفراد الأسرة السعودية، وهو خالد بن سعود الذي كان يعيش في مصر ، ونشأ تحت رعاية محمد علي ، وأصبح يتمشى بموجب توجيهه له. لم تنجح هذه الحملة في تحقيق أهدافها ، فما كان من محمد علي إلا أن أمر خورشيد باشا واليه على الحجاز بتجهيز حملة كبيرة والتوجه بها نحو الإمام فيصل بن تركي . وفعلاً قام خورشيد بتنفيذ المهمة كما أراد سيده ، وتمكن من تحقيق النصر على قوات الإمام. و رأى الإمام فيصل أن الأمر قد يفلت من يده ، ففضل أن يضحي بنفسه حفاظاً على بلاده وأهلها من القتل والتدمير ، فطلب من خورشيد الصلح ، ووافق خورشيد شريطة أن يسافر هو إلى مصر ، ووافق الإمام على ذلك ، وتم توقيع الاتفاق في شهر رمضان سنة ١٨٣٨م.

و بعد توقيع الاتفاق تم تعيين خالد بن سعود والياً على الرياض تحت سيادة حاكم مصر ، ولكنه لم يستمر سوى عامين فقط لعدم رضى الأهالي عنه ، فتم إبعاده على يد عبد الله بن ثنيان الذي استطاع أن يكسب تأييد القبائل وسكان الرياض في التخلص من التبعية السياسية لمحمد علي ، فتم له استعادة الرياض عام ١٨٤١م. لم يستمتع عبد الله بن ثنيان بالحكم ، حيث تمكن الإمام فيصل بن تركي من مغادرة مصر براً ، والعودة إلى الحكم في الرياض ليستمر حكمه قرابة ثلاث وعشرين سنة[١٥].

ومما يجدر ذكره أن عودة الإمام فيصل بن تركي إلى حكم الرياض تزامن مع الموقف الدولي الحازم من توسعات محمد علي ومحاولة تكوينه دولة كبرى . فالدول الكبرى و تتزعمها بريطانيا لم تكن راضية عن انتصارات محمد علي المتلاحقة في مناطق الشرق الأوسط وبالذات في الجزيرة العربية وخاصة منطقة الخليج لموقعه على طرق المواصلات المؤدية إلى مناطق نفوذها في الهند ، فرأت ضرورة توطيد علاقاتها مع حكام الجزيرة ومشايخ الخليج ، ثم سعت مع الدول الأخرى إلى عقد مؤتمر دولي في لندن سنة ١٨٤٨م اشتركت فيه الدولة العثمانية وكان من نتائجه : حرمان محمد علي من انتصاراته التي حققها وإعادة الأراضي والأقطار التي استولى عليها إلى الدولة صاحبتها الأصلية، وكانت الجزيرة العربية من ضمن البلدان التي شملتها توصيات المؤتمر[١٦].

---

[١٣] المصدر نفسه

[١٤] نشأة الدولة السعودية – التطور التاريخي ، يوسف بن علي رابع الثقفي ، مصدر سبق ذكره.

[١٥] المصدر نفسه

[١٦] المصدر نفسه

لقد كانت طبيعة العلاقات الخارجية للدولة السعودية الثانية (١٨٢٠م – ١٨٩١م) تختلف عن طبيعتها في فترة الدولة السعودية الأولى (١٧٤٤ - ١٨١٨) فبينما كانت في الدولة السعودية الأولى ذات طابع استقلالي يساندها في ذلك كونها تمثل دولة في فترة النشوء تساعدها الجغرافيا على الانعزال و الاهتمام ببناء الذات فيما غدت الدولة السعودية الثانية ساحة للصراعات الداخلية و الخارجية الأمر الذي فرض على صانع القرار فيها أن يهتم بتنمية موارد قوته السياسية من خلال تنمية علاقاته مع القوى الدولية المؤثرة و في المقدمة منها الإمبراطورية البريطانية و بالتالي الدخول في لعبة الأمم.

و يعود أول اتفاق رسمي بين بريطانيا و الدولة السعودية الى عهد الامام عبد الله بن فيصل عندما تبادل مع الحكومة البريطانية تفاهما" مكتوبا" في عام ١٨٦٦م يحافظ على مصالح الطرفين. و لم تتطور العلاقات السياسية بين الطرفين بعد ذلك بسبب ظروف الدولة السعودية الثانية و انشغال بريطانيا في تدعيم نفوذها في منطقة الخليج العربي و البحر الأحمر خاصة بعد فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩م و تطور صناعة السفن[١٧].

بوفاة الإمام فيصل بن تركي خسرت الدولة السعودية الثانية وحدتها ودخلت في مرحلة النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة ، وبدأت الحروب الأهلية تؤثر سلبياً في قوة الدولة ووحدتها ، وبدأت الدول الخارجية تتحين الفرص لتحقيق أطماعها . وقد بدأ النزاع في الأسرة بين عبد الله وسعود ابني الإمام فيصل بن تركي ، وكان الأول قد ورث الحكم بعد وفاة أبيه بصفته الأكبر سناً ، وهو الذي كان ساعد أبيه الأيمن، وله سابق خبرة في إدارة شؤون البلاد في المنطقة الشرقية ، الا أن سعوداً نازعه في الحكم حباً في السلطة واعتقاده بأنه أكفأ من أخيه.

وقد أدى هذا النزاع الأسري في البيت الواحد إلى إثارة العداوات القديمة عند القبائل[١٨]. وأشار إلى ذلك أمين الريحاني بقوله "عادت إلى الوجود تلك العداوات القديمة لآل سعود، فانتفضت قحطان ، وعصت العجمان ، وتمردت عنزة وتقلبت مطير ، وتذبذبت عتيبة ، وصال بنو مرة ، وتنمر بنو خالد ، ناهيك بالإخوة وأبناء العم من البيت نفسه ، وقد قام بعضهم إلى بعض يتنازعون السيادة ... فقامت القبائل توالي هذا، وتناوئ الآخر ، طمعاً بكسب ، أو تشفياً لغليل ، أو حباً بسيادة يطمحون إلى تحقيقها"[١٩].

وجد محمد بن رشيد أمير حائل أن الخلافات السياسية الدائرة بين أفراد البيت السعودي ستحقق له الوصول إلى سدة الحكم في الرياض . فعندما انتزع أبناء سعود الحكم من عمهم عبد الله بن فيصل في سنة ١٨٨٤م ودخلوا الرياض وأودعوا عمهم السجن ، رمى محمد بن رشيد شبكته للاصطياد فكتب إلى رؤساء القبائل في نجد ، يشجب عمل أبناء سعود ضد عمهم ، فأيده الكثير ، ودخلوا معه الرياض، وخرج أبناء سعود إلى الخرج بعد أن طلبوا الأمان ، وأطلق عبد الله من السجن، وقام بتعيين سالم السبهان نائباً عنه في الرياض جنباً إلى جنب مع الإمام عبد الرحمن بن فيصل. سرعان ما دبت الخلافات بين ال رشيد و الإمام عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ال سعود و ذلك نتيجة اتهام الإمام للسبهان بمحاولة قتله حيث اعتقله و أودعه السجن و تطور النزاع بين الطرفين إلى أن انتصر ابن رشيد في معركة مع أهالي القصيم مهدت له أمر التقدم نحو الرياض و احتلاله الأمر الذي جعل الإمام عبد الرحمن بن فيصل يغادرها محبطا" و يتجه مع عائلته إلى منطقة الإحساء.

عند هذه المرحلة الحرجة التي أصابت الدولة السعودية الثانية يأتي مندوب الدولة العثمانية في الإحساء ، ويفاوض الإمام عبد الرحمن بن فيصل ، ويعرض عليه إمكان إعادته إلى الحكم في الرياض ، شريطة إعلان خضوعه للدولة العثمانية ، ودفع مبلغ من المال سنوياً ، ولكنه اعتذر عن قبول هذه الشروط على اعتبار أن ذلك رضوخ لدولة أجنبية مستعمرة . ثم انتهى به المقام في الكويت ، وقد خصصت الدولة العثمانية له ولأسرته مبلغاً من المال شهرياً ، قدره ستون ليرة عثمانية[٢٠].

في الكويت توثقت عرى الصداقة بين عائلة ال صباح و ال سعود و هناك تعلم عبد الرحمن ال سعود و ولده عبد العزيز ال سعود الكثير من الخبرات التي ترسخت لدى ال صباح عن التعاون مع البريطانيين و

---

[١٧] فهد بن عبد الله السماري ، الجذور التاريخية للعلاقات السعودية البريطانية ، صحيفة الشرق الأوسط (اللندنية) ، العدد ١٠٥٧٢ الصادر في يوم الخميس ٨ تشرين ثاني ٢٠٠٧ ، صفحة الرأي
http://www.asharqalawsat.com/leader.asp?section=3&article=444782&issueno=10572

[١٨] نشأة الدولة السعودية – التطور التاريخي ، يوسف بن علي رابع الثقفي ، بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي العالمي " المملكة العربية السعودية في مائة عام" المنعقد في الرياض في ٢٤ – ٢٨ كانون الثاني ١٩٩٩ م و الذي نشرت بحوثه من قبل دارة الملك عبد العزيز حيث يمكن مراجعة البحث على موقع الدارة على الشبكة الدولية للمعلومات (الإنترنت) :
http://www.darah.org.sa/bohos/Data/2/7-1.htm

[١٩] أمين الريحاني ، تاريخ نجد الحديث ، بيروت ، دار الجيل ، ط٧ ، ١٩٨٨ ص ٦٧

[٢٠] المصدر نفسه ، ص ١٠٦

الاعتماد عليهم في عملية بناء السلطة و النفوذ و قد كانت بريطانيا حينها تعطي اهتماما" متزايدا" للكويت و لعائلة ال صباح كونها كانت تعد لغزو العراق و السيطرة عليه باعتباره يحتوي الثروات و يمثل طريقا" مهما للتواصل بين الهند و أوربا بالإضافة لكونه يمثل ظهر الدولة العثمانية التي صارت الدول تفكر في إطلاق رصاصة الرحمة عليها و وضع اليد على ميراثها و التسابق للسيطرة على كنوزها حيث كانت تشعر بريطانيا أن السباق ابتدأ و أن الألمان تقدموا خطوة حين طوروا علاقاتهم الاقتصادية بالعثمانيين و بدأوا بمشروع سكة حديد الشرق الذي خطط له ليمتد من البصرة و الخليج وصولا إلى أوربا.[٢١]

كانت استعادة عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ال سعود لمدينة الرياض في ١٩٠٢م نقطة البداية في قيام الدولة السعودية الثالثة التي لا زالت مستمرة الى يومنا هذا. وقد بدأ الملك عبد العزيز علاقاته الدولية منذ استرداد إمارته بمحاولة إقامة علاقة بينه وبين الإنجليز ؛ إذ أدرك أثناء إقامته بالكويت في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وأوائل القرن الحالي أهمية الدور الذي تلعبه بريطانيا في منطقة الخليج ، وكان من سعة الإدراك بحيث لم يتجاهل ذلك الدور في علاقته بالحكومة البريطانية ؛ إذ أتيح له أن يطلع في خلال تلك السنوات على الأوضاع الدولية مما أكسبه معرفة ودراية لم تسبق لأسلافه الذين عاشوا طوال حياتهم في نجد ، كما أتيح له في الوقت نفسه أن يلمس عن قرب مدى قوة بريطانيا وتفوقها على كل من الدولة العثمانية والدول الأوربية الأخرى المنافسة لها " روسيا وألمانيا وفرنسا "، ويمكن القول بصفة عامة : إن مدرسة الكويت السياسية على عهد الشيخ مبارك بن الصباح ١٨٩٦/١٩١٥م قد أطلعته على حقائق السياسة الدولية ، ودربته على كيفية مواجهة المشكلات الدولية ، ولقنته كثيراً من فنون السياسة والحكم[٢٢].

وقد بدأت اتصالات الدولة السعودية الثالثة بالإنجليز بعد أشهر عدة من استرداد الرياض فعلى أثر تأهب الإمام عبد الرحمن الفيصل لمغادرة الكويت في أيار من عام ١٩٠٢م للانضمام إلى ابنه عبد العزيز في الرياض أرسل كتاباً إلى الكولونيل كمبل (Kemball) المقيم البريطاني في بوشهر طالباً إقامة علاقات مع السعوديين بعد أن نجحوا في استرداد إمارتهم ، واقترح عقد اتفاقية شبيهة بتلك الاتفاقيات المبرمة مع حكام الخليج ، وذكر أن أوسنيكو (Ozinico) القنصل الروسي في بوشهر الذي زاره في الكويت عرض عليه المساعدة إذا ما طلب ذلك كتابة غير أنه رفض العرض الروسي بنصيحة الشيخ مبارك حاكم الكويت. وعلى الرغم من أن كمبل أوضح لحكومته بأن السعوديين قد حققوا انتصارات في نجد إلا أنه توقع أن يشن آل رشيد هجوماً مضاداً ، ولذا نصح رؤساءه في حكومة الهند بالتأني في الرد على الرسالة[٢٣].

ولما كان الأمير عبد العزيز بن سعود يشعر بحاجته إلى تأييد الحكومة البريطانية له فقد حاول أن ينتهج سياسة المناورة التي خبرها من الشيخ مبارك حيث كتب رسالة صريحة إلى كمبل أكد فيها أنه من قبيل تفضيل السعوديين للصداقة البريطانية فقد رفضوا عروضاً قدمت إليهم في الكويت من أحد المسؤولين الروس. غير أن المقيم البريطاني قابل هذه الدعوة بفتور بل عمد إلى عدم الرد على هذه الرسالة ، وأقرته حكومة الهند على ذلك ، وصدرت إليه التعليمات بعدم إظهار أي تشجيع للسعوديين؛ لأن السياسة البريطانية كانت تميل إلى الابتعاد التام عن شؤون نجد الداخلية ، وخاصة أن الأمور لم تكن قد استقرت بها بعد[٢٤].

وفي تشرين ثاني ١٩٠٣م أجرى الكابتن بريدوكس (Prideaux) الوكيل السياسي البريطاني في البحرين مفاوضات مع وكلاء ابن سعود ومبعوثيه أسفرت عن اقتناع كيرزون (Curzon) نائب الملك في الهند بأهمية إقامة علاقات رسمية مباشرة مع الأمير ابن سعود ، ولكن في هذا الوقت بالذات وبسبب عدم استقرار الأوضاع في أواسط الجزيرة العربية لم تحظ تلك الاقتراحات بالتأييد في لندن. وعقب عودة كيرزون مباشرة من جولته في الخليج العربي في نفس العام أعاد طرح هذا الموضوع من جديد غير أن وزارة شؤون الهند حذرت كيرزون في برقية خاصة بعث بها إليه من إقامة أية اتصالات مباشرة مع الرياض دون تعليمات حكومة لندن .

وإزاء ذلك الموقف كانت الحكومة البريطانية في الهند مضطرة – ولو مؤقتاً – إلى التخلي عن خطتها لكنها لم تلبث أن أرسلت في أذار ١٩٠٤م خطاباً إلى لندن لفتت نظرها فيه إلى أن ضعف النفوذ العثماني في

---

[٢١] راجع في هذا الشأن : خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز، ج ١ ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٩٩ ، ص٥٨

[22] Armstrong ،H.C. , Lord of Arabia, London 1960, P.21.

[٢٣] بوندرايفسكي (غيورغي): الكويت وعلاقاتها الدولية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ترجمة ماهر سلامة ، مركز البحوث والدراسات الكويتية ، الكويت ١٩٩٤م، ص ٣٢٤.

[٢٤] الوثائق السعودية: التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، المجلد الأول، العرض التاريخي، الرياض ٣٧٤، ١٩٥٥ م ، ص ٢٨٠.
انظر أيضاً : جمال زكريا قاسم : تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، المجلد الثاني ، القاهرة ١٩٩٧ م ، ص ٣٦٠.

الجزيرة العربية واهتمام الدول الأجنبية الزائد بهذه المنطقة سيجبران الحكومة البريطانية بطريقة أو بأخرى على إقامة علاقات مباشرة مع ابن سعود[٢٥].

وفي خلال الصراع الذي دار بين آل سعود وآل رشيد في القصيم في ٢٣ أذار ١٩٠٤م حاول ابن سعود إزاء تأهب الباب العالي إرسال قوات عسكرية لمساندة ابن رشيد أن ينال في المقابل مساعدة الإنجليز له ومن أجل ذلك بعث برسالة في ٢ أيار ١٩٠٤م عن طريق الشيخ مبارك إلى الميجر برسي كوكس (Cox) الذي وصل إلى المقيمية البريطانية في البحرين أعرب فيها عن احتجاجه الشديد لتدخل العثمانيين في شؤون نجد مؤكداً أنه إذا لم يجد تأييدا من الحكومة البريطانية فإنه سيضطر إلى قبول مساعدة الروس الذين كانوا قد عرضوا عليه مساعدتهم من قبل[٢٦].

وقد أثارت رسالة ابن سعود هذه جدلاً كبيراً في الدوائر البريطانية المعنية ، ونعني بها حكومتي لندن والهند ، إذ كانت حكومة الهند البريطانية ترى أنه لا ينبغي أن تظل السياسة البريطانية على لا مبالاتها إذ كان من رأي اللورد كيرزون ضرورة تأييد ابن سعود حتى لا يتحول الموقف لصالح العثمانيين في نجد مؤكداً أن الدولة السعودية أصبحت في ظل قيادة ابن سعود دولة إقليمية غير متعصبة ، وأن ابتلاع العثمانيين لنجد عن طريق حلفائهم آل رشيد أمر أسوأ بكثير من التسليم بقيام تلك الدولة الجديدة[٢٧].

وعلى الرغم من النوايا الطيبة التي أفصح بها ابن سعود إزاء العلاقات بينه وبين الإنجليز إلا أن الدوائر البريطانية سواء في حكومة الهند أو في حكومة لندن لم تبادل ابن سعود تلك النوايا الحسنة ، باستثناء برسي كوكس الذي بدأ يقدر حقيقة وضع ابن سعود ، ثم أخذ على عاتقه رسم سياسة جديدة لعرضها على حكومة الهند التي ضمَّنها في رسالة بعث بها إليها في ١٦ أيلول ١٩١٦م أبرز فيها الفوائد التي تنجم عن عقد اتفاقية مع الأمير عبد العزيز بن سعود.

وليس من شك في أن برسي كوكس – الذي أخذ يرتبط فيما بعد بصداقة حميمة مع ابن سعود – كان أول ديبلوماسي بريطاني يتنبأ بأن ابن سعود سيسيطر على سياسة جزيرة العرب كما كان أول من نبَّه رؤساءه في حكومة الهند إلى أهمية كسب صداقة ابن سعود التي أصبحت كلمته هي القانون في الجزء الأكبر من شبه الجزيرة العربية .

مضى وقت طويل والدوائر البريطانية في كل من حكومتي الهند ولندن تدرس اقتراحات برسي كوكس ، وفي خلال تلك الحقبة لم تنقطع اتصالات ابن سعود بالإنجليز ، فبعد نجاحه في ضم القصيم في ١٤ نيسان ١٩٠٦م ، ومقتل ابن رشيد في روضة مهنا ، أصبح يشعر بأنه غدا القوة المتنفذة في أواسط نجد ، وأنه أصبح في حاجة ماسة للحصول على منفذ على البحر. ومن ثم بدأ في جس نبض حكومة الهند ومعرفة موقفها من استرداده لإقليم الإحساء من الدولة العثمانية. وبصدد ذلك أرسل مبعوثا من قبله "مسعود بن سويلم" إلى البحرين لكي يؤكد للكابتن بريدوكس الوكيل البريطاني هناك بأن سيده يجد نفسه الآن قوياً لدرجة تمكنه من طرد العثمانيين من الإحساء ، وجاء في رسالته المبلغة إليه أن موارد نجد المادية قد استنفدت نتيجة حروبه المتواصلة ضد آل رشيد وحلفائهم العثمانيين ؛ وأنه بناء على ذلك يفكر في استرداد الإحساء و القطيف اللتين يستطيع بهما الحصول على دخل مناسب والاستعانة بمواردهما في إخضاع القبائل الخارجة عن طاعته وزيادة حصيلة تجارته[٢٨]. ولم تكن مطالب ابن سعود وتطلعاته قد جاءت من فراغ إذ كان يؤمن بحقه التاريخي ، ويرى أن العثمانيين سيطروا على تلك الأقاليم – التي كانت خاضعة لأسلافه في عهد الدولتين السعودية الأولى والثانية – بغير حق[٢٩].

غير أن اختلاف الرؤى السياسية بين حكومتي لندن والهند عرقل الوصول إلى أي اتفاق مع ابن سعود فعلى حين بدأت حكومة الهند البريطانية تتفهم بعض الشيء أوضاع ابن سعود وتتجه إلى مساندته أبدت حكومة لندن اعتراضها على تلك السياسة ، بناءاً على نصيحة السير نيقولا أوكونور السفير البريطاني في الآستانة الذي أكد أن سيطرة العثمانيين على الإحساء أمر أخف وطأة من سيطرة ابن سعود ؛ إذ إنه لن يكون عونا للحكومة البريطانية بقدر ما سوف يعمل على الامتداد بنفوذه إلى إمارات الخليج الخاضعة للحماية البريطانية[٣٠].

وعلى الرغم من الموقف المعارض الذي اتخذته حكومة لندن إلا أن ابن سعود لم يكف عن الاتصال بحكومة الهند التي كانت أكثر تفهماً لمطالبه حيث حاول عن طريق الشيخ مبارك في أب ١٩٠٦م إقناع الكابتن نوكس الوكيل البريطاني في الكويت بمزايا استرداده الأحساء من الدولة العثمانية ، وأنه يتعهد إذا ماتحقق له

---

[٢٥] بوندرايفسكي (غيورغي): المرجع السابق ، ص ٤٠٦.

[26] Graves ،Philip, The Life of Sir Percy Cox, London 1951 ، P.101

[٢٧] ج.ج. لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثالث، الدوحة ١٩٧٥، ص ١٧١٨.

[28] Graves , Ibid , P 106.

[٢٩] محمد بن عبد الله السلمان ، نهاية الوجود العثماني في الاحساء ، الاسكندرية ، ١٩٩٤ ، ص ٣٣.

[٣٠] المصدر نفسه.

ذلك بعدم المداخلة في الإمارات المرتبطة بعلاقات تعاهدية خاصة مع الحكومة البريطانية. و في شهر تشرين أول من ذلك العام (١٩٠٦م) تلقى الكابتن بريدوكس الوكيل البريطاني في البحرين خطاباً من الشيخ قاسم بن ثاني يذكر فيه أن ابن سعود عاود الاتصال به ؛ لأنه يخشى من ألا يكون الشيخ مبارك قد عرض قضيته على المسؤولين الإنجليز بالحماسة الكافية ، وأنه متلهف لاسترداد الأحساء ، ولكنه يريد الاطمئنان على موقف الحكومة البريطانية[٣١]. وبصدد تلك الاتصالات تشير بعض المصادر إلى أن ابن سعود قدم في ذلك العام اقتراحاً يقضي بالتفاهم سراً مع الحكومة البريطانية التي تقدم له الحماية إذا ما نجح في طرد العثمانيين من الأحساء ، وذلك في مقابل ارتباطه بمعاهدة معها على غرار المعاهدات التي عقدتها مع رؤساء الساحل العماني وموافقته على تعيين ممثل لها في ممتلكاته أما إذا فشل في استرداد الأحساء فإنه لن يخون الاتفاق السري بينه وبين الحكومة البريطانية. و رغم كل هذه المحاولات فقد ظل موقف الدوائر البريطانية معارضاً لإقامة علاقات مباشرة مع ابن سعود أو إتاحة الفرصة له للسيطرة على الأحساء خشية تهديد نفوذها في إمارات الساحل العماني[٣٢].

في هذه المرحلة التي كان يسعى فيها عبد العزيز ابن سعود الى توطيد أركان سلطته و توسيع نطاق نفوذه و سلطانه ليستعيد مجد أسلافه في الدولة السعودية الاولى معتمداً على القوة القتالية القبلية لرجال قبيلته و من يتحالف معه طمعاً في عطاياه من المال أو طمعاً بالغنائم و الاسلاب ، في هذه الاثناء جلب اهتمامه مشاعر دينية متشددة كانت تنشط في مهدها بين أفراد بعض القبائل في منطقة القصيم من شمال نجد حيث تولى رعايتها و تحويلها الى ما سمي بالاخوان أو اخوان من أطاع الله و هي حركة صحوة دينية متعصبة متشددة سلفية الطابع تهدف تغيير التقاليد السائدة و تجاوز الرابطة العشائرية و القبلية الى الاخلاقيات الدينية و الرابطة الدينية و تقوم بهجر حياة البداوة لتعيش في مجمعات سكنية ثابتة بسيطة التكوين تسمى (الهُجَر) تعتبر بمثابة معسكرات لجيش نظامي[٣٣]. و قد عمل عبد العزيز ابن سعود على تطوير هذه القوة الذاتية العسكرية الدينية المتشددة و سريعة الحركة بشكل سري و متأني و قد استفاد منها في أكثر من موقعة على طريق بناء الدولة السعودية الثالثة[٣٤].

في ١٣ نيسان ١٩١٣م أقبل الأمير ابن سعود على خطوة مهمة معتمداً على جهوده في استرداد مقاطعة الإحساء دون أن يلجأ إلى طلب الحماية أو المساعدة من الحكومة البريطانية ، كما حاول ذلك في الماضي. ومن الواضح أن إقدام ابن سعود على تلك الخطوة كان مدفوعاً إليها بدوافع متعددة فبالإضافة إلى حاجته الملحة إلى منفذ بحري لربط نجد بالعالم الخارجي فإن الإحساء صارت ملجأً للخارجين عليه.

ومن المؤكد أن ابن سعود في استرداده للإحساء كان يتابع التطورات الدولية التي لم تكن في صالح الدولة العثمانية التي خرجت منهكة في حربها مع إيطاليا عام ١٩١١م التي أفقدتها ليبيا وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط ، كما كانت تواجه ثورات عديدة في البلقان من قبل اليونان والصرب والبلغار وخاصة بعد تصاعد حركة الجامعة السلافية كذلك التحديات التي سرعان ما انتشرت في الولايات العربية ، ومن ثم كانت الدولة العثمانية مضطرة إلى إنقاص حامياتها العسكرية في الإحساء بحيث لم تعد تتعدى سوى بضع مئات من الجنود .

وليس من شك أيضاً في أن تعنت الاتحاديين من جماعة تركيا الفتاة الذين وصلوا إلى حكم الدولة بعد عزلهم للسلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٩م قد أثارت ضدهم المشاعر العربية نتيجة سياستهم الطورانية المعادية للعرب وغيرهم من العناصر الأخرى . والأهم من ذلك أن أنباء المباحثات العثمانية الإنجليزية التي كانت تجري في لندن بين عامي ١٩١١/١٩١٣م بخصوص توزيع مناطق النفوذ في الخليج العربي قد وصلت إلى أسماع ابن سعود فخشي أن يتقرر شيئاً بالنسبة للإحساء يقطع عليه سبيل المستقبل ، ولذلك قرر أن يسبق سير المباحثات ليسترد الإحساء ، ويتيح لإمارته منفذاً على البحر[٣٥].

ولعل أهم النتائج التي ترتبت على استرداد ابن سعود للإحساء أنه استطاع أن يوجد منفذاً لإمارته على البحر مما ساعده على الاتصال مباشرة بالإنجليز بل يمكن القول : إن الإنجليز بعد استيلائه على الإحساء هم الذين أخذوا يوجهون اهتمامهم إليه ، ومع أن الحكومة البريطانية ظلت تستشعر حرجاً في إيجاد اتصالات رسمية بينها وبين ابن سعود نتيجة عقدها الاتفاقية الإنجليزية العثمانية إلا أن المصالح البريطانية فرضت عليها

---

٣١ المصدر نفسه ، ص٢٧.

٣٢ المصدر نفسه.

٣٣ جون س. حبيب ، الأخوان السعوديون في عقدين ١٩١٠م – ١٩٣٠م ، ترجمة د. صبري محمد محسن ، مراجعة عبدالله الماجد دار المريخ للنشر ، الرياض ، ١٩٩٨ ، ص ٤٥ – ٦٠.

٣٤ المصدر نفسه.

٣٥ د. فتحية النبراوي ، د. محمد نصر مهنا ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٣١ - ٣٣٦

تحقيق ذلك الاتصال ، وذلك لضمان موقفه تجاه مناطق نفوذها في إمارات الساحل العماني والمحافظة على الهدنة البحرية ، وقمع تجارة الرقيق.

وعلى أثر موافقة حكومة الهند البريطانية على طلب برسي كوكس بأن الضرورات العسكرية تقتضي عقد معاهدة مع ابن سعود أبحر كوكس من البصرة إلى العقير وعلى إحدى الجزر الصغيرة القريبة من ذلك الميناء ، وهي جزيرة دارين تمت المقابلة بينه وبين ابن سعود في تشرين ثاني ١٩١٥م ، وكانت هذه أول مرة يلتقي فيها ابن سعود برسي كوكس ، وإن كانا قد دخلا قبل ذلك في مفاوضات ومراسلات كثيرة ، وفيما يبدو أن كلاً منهما قد أعجب بشخصية الآخر. وقد أكد ابن سعود لبرسي كوكس أن الولاة الذين يعينهم في الإحساء لديهم تعليمات مشددة برعاية المصالح البريطانية*.

وفي ٢٦ تشرين ثاني ١٩١٥م وبعد محادثات قصيرة وُقع على معاهدة دارين التي نصت على ما يأتي[٣٦] :

١. تعترف الحكومة البريطانية بأن نجد و الإحساء و القطيف و الجبيل وملحقاتها وثغورها على سواحل الخليج كلها تابعة لابن سعود ولآبائه من قبل ، وأنه حاكم مستقل عليها ورئيس مطلق على جميع القبائل الموجودة بها. وتعترف لأولاده وأعقابه وارثين من بعده على أن يكون خليفته منتخبا من قبله و ألا يكون مخاصماً لإنجلترا بوجه من الوجوه أي أنه يجب ألا يكون ضد المبادىء التي تمثلت في هذه المعاهدة.

٢. إذا تجاوزت إحدى الدول على أراضي ابن سعود أو أعقابه من بعده دون إعلام الحكومة البريطانية ودون أن تمنح الوقت المناسب للمخابرة مع ابن سعود لأجل تسوية الخلاف فالحكومة البريطانية تعاون ابن سعود ضد هذه الحكومة وفي مثل هذه الظروف يمكن للحكومة البريطانية بمساعدة ابن سعود أن تتخذ تدابير مشددة لأجل المحافظة عليه وحماية منافعه.

٣. يتعهد ابن سعود أن يمتنع عن كل مخابرة أو اتفاق أو معاهدة مع حكومة أو دولة أجنبية ، وعلاوة على ذلك فإنه يتعهد بإعلام الحكومة البريطانية عن كل تعرض أو تجاوز يقع من قبل حكومة أخرى على الأراضي التي ذكرت آنفا.

٤. يتعهد ابن سعود بصورة قطعية أن لايتخلى ولا يبيع ولا يرهن ولا بصورة من الصور يقبل بترك قطعة أو التخلي عن الأراضي التي ذكرت آنفا ، ولا يمنح امتيازاً في تلك الأراضي لدولة أجنبية أو لتبعية دولة أجنبية دون رضا الحكومة البريطانية ، وأن يتبع نصائحها التي لا تضر بمصلحته.

٥. خامساً: يتعهد ابن سعود بأن يبقي الطرق المؤدية إلى الأماكن المقدسة مفتوحة ، وأن يحافظ على الحجاج أثناء ذهابهم لتأدية فريضة الحج ورجوعهم منها.

٦. يتعهد ابن سعود بأن يمتنع عن كل تجاوز وتداخل في أراضي الكويت والبحرين وأراضي مشايخ قطر وعمان وسواحلها وكل المشايخ الموجودين تحت حماية بريطانيا الذين لهم معاهدات معها.

وقد ظلت معاهدة دارين سارية المفعول ، وإن أدخلت عليها بعض التعديلات حتى استبدلت بمعاهدة جدة ١٩٢٧م. و قد أخذت العلاقات تتوثق بين الحكومة البريطانية والأمير ابن سعود على أثر عقد معاهدة دارين ، ففي العام التالي لعقد تلك المعاهدة اجتمع ابن سعود مرة أخرى مع برسي كوكس ، وقد أعيد اختيار ميناء العقير ليكون مكاناً للاجتماع. وفي اللقاء الذي تم بينهما في ١١ تشرين ثاني ١٩١٦م أوضح ابن سعود لبرسي كوكس أنه حتى الآن لم يستطع أن ينزل الضربة القاضية بابن رشيد بسبب حملاته التأديبية المستمرة ضد القبائل الخارجة عليه من آل مرة والعجمان ، وأكد أنه لا يستطيع الحرب في جبهتين في آن واحد وطلب معرفة موقف الحكومة البريطانية إزاء ما أعلنه الشريف حسين في أنه أصبح ملكاً على العرب. وقد أعطى كوكس تأكيدات صريحة لابن سعود بأن استقلاله لن يمس ، ودعاه ليأخذ مكانه في الاجتماع الذي تقرر عقده في الكويت ٢٣ تشرين ثاني ١٩١٦م. وقد استجاب ابن سعود لتلك الدعوة حيث عبر في الاجتماع الذي حضره عدد من رؤساء الخليج ورؤساء العشائر العربية في جنوب العراق عن بغضه للاتحاديين متهماً إياهم بما أصاب الإسلام من ضعف

وعقب انتهاء مؤتمر الكويت وصل ابن سعود إلى البصرة بدعوة من برسي كوكس. وفي البصرة نزل ضيفاً على القائد العام لقوات جيش العراق ، وكانت هذه أول مرة يسافر فيها ابن سعود خارج الجزيرة العربية. ويذكر جون فيلبي(Philby) أن ابن سعود أبدى دهشته عند رؤيته لذلك العدد الوافر من المعدات الحربية كما أثر في نفسه أن تكون جروترد بيل (Bell Gertrude) واحدة من أكبر مضيفيه[٣٧]. وفي الاجتماع الذي عقد

---

* يقال : إن برسي كوكس انتهز فرصة اجتماعه مع الأمير ابن سعود ليعرض عليه منصب الخلافة ولكن ابن سعود كان من الذكاء وبعد النظر بحيث خشي أن يجره قبول ذلك المنصب إلى عداء من قبل الأمراء العرب

٣٦ نص المعاهدة منقول من حافظ وهبة : جزيرة العرب في القرن العشرين ، دار الافاق العربية ، ط٣ ، ١٩٩٩ ، ص ٣١٨ – ٣١٩.

37 Graves, Philip, op , cit , p 153.

في البصرة بين ابن سعود وبرسي كوكس اتفق على أن يتسلم ابن سعود مساعدة مالية قدرها خمسة آلاف جنيه شهرياً إلى جانب تزويده بقدر من السلاح والذخيرة . كما حرص برسي كوكس على استغلال زيارة ابن سعود للبصرة ليعقد اجتماعاً بينه وبين الشيخ فهد الهذال شيخ قبيلة عنزة بغرض أن يتوسط ابن سعود لديه لتأمين المواصلات البريطانية إلى العراق . وفيما يبدو أن وساطة ابن سعود كانت على قدر كبير من الأهمية بحيث قررت حكومة الهند – بناءاً على اقتراح برسي كوكس – زيادة المساعدة المالية التي تصرفها لابن سعود من ٦٠ألف جنيهٍ إلى مائة ألف جنيهٍ سنوياً ، ومن المحتمل أن تكون تلك المساعدات المادية والعينية قد منحت لابن سعود عن طريق اتفاقية جديدة أو على الأرجح بإدخال تعديلات على اتفاقية دارين. وقد استمرت الزيادة في المساعدات البريطانية تقدم لابن سعود حتى دخول الجنرال اللنبي (Allenby) دمشق حيث أعيدت إلى ما كانت عليه سابقاً ، بل إنها لم تلبث أن ألغيت في أعقاب الحرب العالمية الأولى وعلى وجه التحديد في شباط ١٩٢٤م نتيجة الوضع الاقتصادي المتأزم في بريطانيا إلى جانب ضغوط الرأي العام البريطاني ، والأهم من ذلك أن بريطانيا لم تعد في حاجة إلى معاونة ابن سعود ، و بالرغم من ذلك فان عبد العزيز ابن سعود بقي متمسكاً بعلاقات التحالف مع البريطانيين ساعياً الى تدعيمها باستمرار.

و في رأي الباحث أن عبد العزيز ابن سعود واجه موقفاً داخلياً صعباً في نهاية عقد الثلاثينات من القرن العشرين مع التنظيم الذي شكل العمود الفقري لامكانيات القوة الضاربة لديه و الذي ارتكز عليه في عملية توحيد أراضي الدولة السعودية و وضعها تحت سيطرته الكاملة و هو تنظيم الاخوان النجديين أو اخوان من أطاع الله ، حيث أراد تحجيم حركتهم بالضد من العقيدة الفكرية و الدينية التي تربوا عليها و التي رعاها ابن سعود نفسه و التي اتسمت بأفكار دينية شمولية تتجاوز اطار الحدود الوطنية و التي كانت تدفعهم الى تهديد المناطق المجاورة للدولة السعودية كالكويت و العراق و الاردن دون مراعاة للاعتبارات السياسية و الدولية. لقد واجه عبد العزيز ابن سعود خياراً صعباً في تلك المرحلة فهو أما أن يقبل بالتضحية بعنصر القوة الذاتي الداخلي الذي استند اليه في بناء دولته (الاخوان النجديين) و يحفتظ بالتحالف الخارجي مع الحكومة البريطانية و لاحقاً مع القوة التي تحل محلها و تملأ فراغها عند ضعفها ، أو يحتفظ بهذه القوة الداخلية مع هواجس القلق منها و يتخلى عن الحليف الخارجي. فكان أن اختار تفكيك القوة الداخلية و الابقاء على تحالفاته الخارجية و هذه السياسة رسمت فيما بعد الاطار لنمط علاقات التحالف الخاصة بالدولة السعودية بما فيها من تشويه و خلل.

المبحث الثاني : تاريخ العلاقات السعودية الأمريكية

على أثر احباط ابن سعود من التغيير الحاصل في مساعدة الحكومة البريطانية له بدأ يحكم صلته بأحد رجال الأعمال الأمريكيين البارزين في منطقة الشرق الأوسط وهو المستر شارلس كراين (Crane)* الذي حضر إلى جدة بدعوة من فلبي (Philby) في بداية عام ١٩٣١م[٣٨]. وعلى الرغم من متاعب ابن سعود القريبة العهد مع الإخوان النجديين جعلته يتردد في فتح بلاده للخبراء الأجانب إلا أنه إزاء ضغط الضائقة المالية أعرب عن استعداده لكي يمنح امتياز النفط في بلاده لمن يعرض عليه قدراً من المال بصورة عاجلة[٣٩]. وقدم كراين وعداً من جانبه لابن سعود بأن يرسل إليه خبراء للبحث عن النفط في مقاطعاته الشرقية. ولم يمض وقت طويل حتى وصل المستر تويتشل Twitchell إلى جدة ممثلاً عن شارلس كراين يرافقه لويد هاميلتون (Hamilton) ممثلاً لشركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا (Oil Of California Standard) ، في الوقت الذي أرسلت فيه شركة نفط العراق المستر ستيفن لونكريك (Longrigg)** إلى جدة لمفاوضة الملك عبد العزيز بشأن منح امتياز نفط الإحساء للشركة الإنجليزية. وبينما فشل لونجرج في مهمته نجح لويد هاميلتون – بعد دراسة استكشافية قام بها في الإحساء– في أن يحصل لشركته على امتياز النفط ، وتم ذلك على أثر المفاوضات التي أجريت بنجاح بين هاميلتون و تويتشل من ناحية وعبد الله السليمان وزير المالية السعودية من ناحية أخرى حيث تم التوقيع على اتفاقية استغلال النفط في المقاطعات الشرقية من المملكة العربية السعودية لصالح شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا في عام ١٩٣٣م.

وهناك بعض الاراء تميل الى القول بأن ابن سعود إنما اختار الشركة الأمريكية ؛ لأنها قدمت عروضاً أكثر إغراءاً. وحقيقة الأمر أن العروض الإنجليزية والأمريكية كانت متساوية فيما يتعلق بتقدير قيمة العائدات على الطن الواحد من النفط الخام إلا أن كفة الشركة الأمريكية كانت هي الراجحة ، وذلك بعد أن تعهدت بدفع العائدات بعملة يمكن استبدالها بالذهب ، على حين عرضت شركة نفط العراق دفع العائدات على أساس الروبية

---

* هو من أثرياء الولايات المتحدة الامريكية و صاحب شركات التعدين في كاليفورنيا و كان عضو لجنة التحقيق الامريكية المشهورة (كنج – كرين) عام ١٩١٩

٣٨ د. عبد الفتاح حسن أبو علية ، مصدر سبق ذكره ، هامش ص ٤٠٩.

39 Philby, John ،Arabian Jubilee, London 1952, P. 178.

** ستيفن همسلي لونكريك ، صاحب كتاب أربعة قرون من تاريخ العراق .... و كتاب العراق من ١٩٠٠ – ١٩٥٠.

الهندية التي كانت سائدة آنذاك في منطقة الخليج حيث كانت الحكومة البريطانية قد خرجت عن قاعدة الذهب في تقدير عملاتها[٤٠]. وبالإضافة إلى ذلك فإن الشركة الأمريكية وافقت على تقديم مبالغ مالية مقدماً ، وكان ابن سعود في حاجة عاجلة إلى تلك الأموال بعد خروجه منهكاً من توحيد أقاليم الجزيرة العربية. وهكذا فإن المصالح الاقتصادية هي التي دفعت ابن سعود إلى قبول العروض الأمريكية.

غير أن هناك رأي أخر يرى أن شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا فازت بامتياز الإحساء ؛ لأن الملك عبد العزيز فضّل أن يكون الأمريكيون هم الذين يتولون عمليات الاستثمار في بلاده ، ولاعتقاده بأن الاقتصاد الأمريكي أقوى من الاقتصاد البريطاني ، ولذلك فإن باستطاعة رؤوس الأموال الأمريكية وشركاتها أن تسهم في تنمية الاقتصاد السعودي على نحو أفضل مما تستطيعه ورؤوس الأموال البريطانية وشركاتها . كما لا يستبعد أيضاً أن تكون هناك ثمة اعتبارات سياسية رجحت كفة الشركة الأمريكية نشير من بينها إلى :

١. توتر العلاقات بين ابن سعود والإنجليز ، إذ بدأ ابن سعود ينظر إليهم على أنهم صاروا حلفاء للهاشميين ، وأنهم تعمدوا تسوية مشكلات الحدود بينه وبين العراق والأردن لصالحهم وضد مصالحه.
٢. ثانياً : كان ابن سعود يريد استبعاد بريطانيا التي كانت لا تزال تحدوها تطلعات استعمارية في العالم العربى
٣. أراد ابن سعود أن يبرهن على استقلاله عملياً بعد توقيعه معاهدة جدة ١٩٢٧م و التأكيد بأن بلاده أصبحت حرة في تصرفاتها ، وغير ملتزمة بتفضيل الشركات البريطانية عن غيرها من الشركات الأخرى.

وعلى الرغم من أهمية تلك الاعتبارات المشار إليها فقد حرص ابن سعود حفاظاً على علاقاته بالإنجليز على التركيز على المصالح الاقتصادية وحدها ، وكان كثيراً ما يصرح بأنه كان حريصاً على منح امتياز الإحساء للإنجليز ؛ لأنه لم يسبق له التعامل مع غيرهم ، وأنه لم يمنح الامتياز للشركة الأمريكية إلا بعد يأسه من موقف الشركات البريطانية التي فقدت حماسها. وربما كان هذا التعليل صحيحاً بالنسبة لشركة النفط الإنجليزية العراقية التي تباطأت في الحصول على امتياز الإحساء اعتقاداً منها بعدم احتمالات وجود النفط بكميات تجارية. وكان ذلك الاعتقاد الخاطئ استناداً على تقارير خبرائها الذين أوفدتهم إلى الإحساء هذا بالإضافة إلى التقارير السياسية التي كان يبعث بها السير أندرو ريان (Ryan) السفير البريطاني في جدة الذي كان لا يشجع حكومته على استثمار أموالها في المملكة بحجة أن الأوضاع الداخلية لم تكن قد وصلت إلى مرحلة الاستقرار السياسي[٤١].

و يعترف ستيفن لونكريك المفوض عن شركة نفط العراق أن مدراء شركته كانوا بطيئين وحذرين في عروضهم على عكس الشركات الأمريكية التي كانت أكثر جرأة وإقداما[٤٢]. ويضيف جون فيلبي أن شركة نفط العراق لم تعرض على الملك عبد العزيز أكثر من عشرة آلاف جنيه إسترليني ذهباً عوضاً عن المائة ألف جنيه التي كان قد طلبها شرطاً لتوقيع الامتياز على حين سارعت شركة ستاندارد أويل أوف كاليفورنيا بتلبية مطالب ابن سعود وكانت أكثر سخاءاً بعد ما تأكد لديها وجود النفط بكميات تجارية في المقاطعات الشرقية من المملكة ، وخاصة بعد نجاح العمليات التنقيبية التي قامت بها شركة بابكو (Bapco) في البحرين[٤٣].

ان العلاقات السياسية السعودية الأمريكية بدأت حين طلبت شركات النفط الأمريكية العاملة في السعودية من واشنطن ممارسة دور أكبر لضمان الأمن والاستقرار السياسي في منطقة الخليج عموماً وهو ما دفع الرئيس الأمريكي روزفلت عام 1943 إلى الإعلان بان الدفاع عن المملكة يمثل مصلحة حيوية للولايات المتحدة ثم قام بإرسال أول بعثة عسكرية أمريكية إلى السعودية والتقى في عام ١٩٤٥ بالملك عبد العزيز على ظهر باخرة في قناة السويس وهو اللقاء الذي دشن العلاقات الأمريكية السعودية ، ومهما تكن أهمية مرحلة التأسيس في تلك العلاقات فإن الإستراتيجية التي أعلنها الرئيس أيزنهاور في يناير من عام ١٩٥٧ شكلت بداية الشراكة السياسية بين السعودية والولايات المتحدة.

وعلى الرغم من أن الصداقة أخذت تتوثق بين الملك عبد العزيز والأمريكيين إلا أنه كان حريصاً مع ذلك على الاحتفاظ بعلاقات الصداقة التقليدية مع بريطانيا. وكانت الحكومة البريطانية حريصة من جانبها على الاستمرار في صداقتها لابن سعود ولعل مما يؤكد ذلك تجديد معاهدة جدة في عامي ١٩٣٦ و١٩٤٣م وإرضاءً لبريطانيا كان ابن سعود حريصاً على منح امتيازات استغلال الموارد الطبيعية في بلاده للعديد من الشركات البريطانية ففي عام ١٩٣٤م منح امتياز التعدين في بعض مقاطعاته لنقابة التعدين العربية السعودية المحدودة ، وهي شركة بريطانية أسهمت المملكة العربية السعودية في رؤوس أموالها . وفي عام ١٩٣٦م منح إحدى

---

[٤٠] صلاح العقاد ، التيارات السياسية في الخليج العربي ، المكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤، ص ٣٢٥.

[٤١] حافظ وهبة : المصدر السابق ص ١٣٩.

[42] Longrigg ،Stephen, Oil in the M.E. , London 1955–1961, P. 107.

[٤٣] بيريبى : جان جاك : الخليج العربي ترجمة نجدة هاجر وسعيد الغز، بيـــروت ١٩٥٩م، ص ١٤٤.

الشركات البريطانية العاملة في مجال النفط امتيازاً للتنقيب عن النفط في المناطق الغربية من المملكة . كما ظل في خلال سنوات الحرب العالمية الثانية على الرغم من موقفه الحيادي متعاطفا مع الإنجليز.

ومع ذلك فقد شهدت السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تراجعاً ملحوظاً في العلاقات البريطانية السعودية و حرص ابن سعود على توثيق بالولايات المتحدة الأمريكية انما يرجع ذلك في تقديرنا إلى عاملين أساسيين :

١. بروز الولايات المتحدة الامريكية كقطب دولي رئيسي مع الاتحاد السوفياتي و صيرورتهما قوى عالمية متحكمة و افول نجم كلاً من بريطانيا و فرنسا بعد أن خرجتا من الحرب منهكتين تعانيان العديد من المشكلات.

٢. إدراكه أن النفوذ البريطاني في منطقة الخليج في طريقه إلى الزوال وخاصة بعد إعلان إلغاء حكومة الهند البريطانية على أثر استقلال الهند وباكستان في عام ١٩٤٧م.

أما العامل المهم الـــذي أدى إلى تراجع العلاقات السعودية البريطانية والذي يمكن أن يسمى القشة التي قصمت ظهر البعير فيرجع إلى تضارب المصالح بين الطرفين فيما يتعلق بمشكلات الحدود السياسية بين المملكـــة العربيـــة السعودية والإمارات المجاورة لها على الخليج ، وبحكم أن بريطانيا هي التي كانت تسير العلاقات الخارجية لتلك الإمارات فإن النزاع على الحدود كان نزاعاً بين المملكة العربية السعودية وبريطانيا ، ولم يكن نزاعاً بين المملكة وتلك الإمارات التي لم يكن لها سوى دور تابع في ذلك النـزاع.

مما تجدر الإشارة إليه أن مشكلات الحدود السياسية لم تبرز إلى حيز الوجود إلا في أعقاب اكتشاف النفط ، ومما يؤكد ذلك أنه على الرغم من السنوات العديدة التي سيطرت فيها بريطانيا على إمارات الساحل العماني إلا أنها لم تعن بتعيين الحدود الداخلية لتلك الإمارات ؛ إذ كان كل ما يعنيها هو تأمين مواصلاتها البحرية في الخليج، ومن ثم ظل نفوذ أي حاكم من أولئك الحكام يعتمد على مدى قدرته في السيطرة على القبائل التي تقطن المناطق الداخلية. ولما كان ولاء القبيلة ولاءاً شخصياً فإن منطقة النفوذ كانت تختلف من وقت إلى آخر ومن حاكم إلى آخر. وثمة ما يلفت النظر أيضاً أن المعاهدات التي وقعتها بريطانيا مع الملك عبد العزيز بما في ذلك معاهدتي دارين وجدة لم تتعرض أي منهما لتعيين حدود تلك الإمارات ، كما أن العلاقات التعاهدية التي ربطت تلك الإمارات بالحكومة البريطانية لم تتعرض أي منها للحدود الداخلية ، إذ لم تكن الحكومة البريطانية مهتمة إلا بتأمين الملاحة في الخليج ، ويؤكد ذلك التعبيرات التي كانت تطلقها بريطانيـــا على تلك الإمارات ، ومن بينها دول المهادنة (Trucial States) ، وعلى الساحل الذي تشغلـــه ساحل الهدنة البحرية أو دول الساحل المهادن (Trucial Coast).

قبيل خروج بريطانيا من الشرق الأوسط، و مع تعاظم المد الشيوعي و اكتشاف المزيد من حقول النفط في الخليج، و قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ في مصر وظهور حركة القوميين العرب، كان لزاما على الولايات المتحدة أن تحدد سياستها تجاه الشرق الأوسط، فأصدر الرئيس أيزنهاور في يناير عام ١٩٥٧ ما عرف بـ Eisenhower Doctrine أي مبدأ أيزنهاور وهو يتضمن المبادئ الرئيسية التي تقوم عليها سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وقال أيزنهاور في وثيقته التي قدمها إلى الكونغرس[٤٤] : "إن الشرق الأوسط يمر بمرحلة جديدة حرجة في تاريخه الهام الطويل" ، ثم تحدث عن الخطر الشيوعي و أطماع الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط، و أضاف أن الأمم الحرة في الشرق الأوسط تحتاج و تريد قوة مضاعفة لصيانة استقلالها. و حدد أيزنهاور العناصر الرئيسية التي تقوم عليها وثيقته ومن بينها : مساعدة و معاونة أي دولة أو مجموعة دول في الشرق الأوسط لتطوير الاقتصاد .. إطلاق برامج المساعدات العسكرية .. إرسال قوات أمريكية لحماية حدود واستقلال دول الشرق الأوسط التي تطلب المساعدة.

المبحث الثالث : مراحل تطور العلاقات السعودية الأمريكية

لقد كانت الحرب ضد الشيوعية و تأمين تدفق النفط عصب السياسة الأمريكية حتى عام ١٩٩١. ونظرا لموقع السعودية و أهميتها السياسية في الخليج ونظرا لضخامة إنتاجها ومخزونها النفطي .. فإنها الشريك الذي لا بد منه. لقد تعاقبت الإدارات الأمريكية و تولى رئاسة الولايات المتحدة رؤساء من الحزب الجمهوري وآخرون من الحزب الديمقراطي فبعد أيزنهاور الجمهوري جاء كينيدي الديمقراطي ثم جونسون الديمقراطي ثم نيكسون و فورد الجمهوريان، ثم كارتر الديمقراطي ثم ريغان الجمهوري لفترتين ثم بوش الأب وهو جمهوري أيضا ولم تتغير المبادئ الرئيسية للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط واستمرت الشراكة السعودية الأمريكية وهي تجتاز اختبارات صعبة إقليمية ودولية مثل حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ و تداعياتهما كما تعززت تلك الشراكة

---

[٤٤] يمكن الرجوع الى نص الرسالة الخاصة التي قدمها الرئيس ايزنهاور الى الكونغرس في ٥ كانون ثاني ١٩٥٧ من خلال زيارة موقع دراسة وثائق الرؤساء الامريكيين على الرابط الرسمي التالي :
http://www.presidency.ucsb.edu/ws/index.php?pid=11007&st=&st1=

في مواجهة مهام وحروب أخرى مثل مواجهة الاحتلال السوفيتي لأفغانستان وجهود طرده منها التي استخدم فيها الطرفان شباب دينين سعوديين متحمسين في المقدمة منهم أسامة بن لادن، و الحرب العراقية الإيرانية التي دعم خلالها الطرفان صدام حسين، و حرب تحرير الكويت .. كما واجهت الشراكة السعودية الأمريكية كل مراحل القضية الفلسطينية، ورغم تباعد مواقفهما إلا أن الانحياز الأمريكي لإسرائيل والحماس السعودي للفلسطينيين لم يتسبب في فك الشراكة.

و يعتقد بعض المحللين أن أحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ و نتائجها هي المسؤولة عن الارتباك الحالي في العلاقات السعودية الأمريكية، وان تبعات تلك الأحداث سوف تقود إلى إعلان نهاية شراكة سياسية امتدت لما يقارب سبعين عاما ، فهل هذا صحيح ؟. هل للأمر علاقة بالأموال السعودية التي اشتكت منها بريطانيا عام ١٩٥٦ و لم تتجاوب معها الولايات المتحدة ؟ أم أن المسألة تعود إلى النظام السعودي الفاسد المتخلف المعادي للغرب كما وصفه الانكليز في الخمسينيات فتحالفت معه الولايات المتحدة ؟ وهل المطلوب إتباع سياسة أمريكية متشددة تجاه السعودية ؟ ، وهو ما طلبته بريطانيا عام ١٩٥٦ ورفضته الولايات المتحدة من باب مواجهة حقائق الحياة.

كان الرئيس أيزنهاور قد صمم برنامجه لمواجهة الخطر الشيوعي وهو برنامج يعتمد على استباق الأحداث ، فلم يكن أيزنهاور يرغب في الانتظار ريثما يبلع النفوذ الروسي إحدى دول الشرق الأوسط كي يتحرك و إنما سعى إلى تأمين السيطرة الأمريكية من خلال إرسال قوات إلى الشرق الأوسط و إقامة قواعد عسكرية ، كما انه أراد عبر برنامجه مساعدة دول في الشرق الأوسط للنهوض اقتصاديا أو تقديم مساعدات مالية لها، ولم يتم ربط أيا من ذلك بالأوضاع الداخلية للدولة المتلقية ، ولم تكن الولايات المتحدة تكترث بطبيعة الأنظمة الحاكمة ديكتاتورية كانت أم ديمقراطية، وبالطبع لم تكن هناك دولة واحدة ديمقراطية. المهم لدى الولايات المتحدة هو تعاون تلك الأنظمة معها و فاعليتها في مواجهة الشيوعية وتأمين مصالحها النفطية.

لقد كانت السعودية نقطة ارتكاز مهمة في السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط فهي دولة معادية للاتحاد السوفياتي وغنية بالنفط وتقدم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة. و لم يتغير الأمر كثيرا بعد تولى كنيدي رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ فقد عمل هو وجونسون ضمن الإطار نفسه، غير انه في نهاية الستينات و طوال السبعينات كان للإحداث الدولية و الإقليمية اثر كبير على سياسة الولايات المتحدة في الخليج، وكانت تلك الأحداث تعزز دور السعودية تارة وتخفضه تارة أخرى.

ففي كانون الثاني من عام ١٩٦٨ أعلن رئيس الوزراء البريطاني هارولد ولسن اعتزام بريطانيا الانسحاب من الخليج بحلول نهاية عام ١٩٧١ وبهذا الإعلان أصبح الطريق ممهدا أمام الولايات المتحدة لأخذ زمام المبادرة أو الجلوس في مقعد القيادة بدلا من تقديم الدعم لبريطانيا، ولذلك كان لابد للولايات المتحدة أن تعيد صياغة سياساتها في الشرق الأوسط خاصة أن هناك تخوفا من قيام الاتحاد السوفياتي بملء الفراغ الذي تخلفه مغادرة بريطانيا[٤٥].

ومع استمرار ثبات أهداف السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط المتمثلة في ضمان تدفق النفط ومنع وصول الخطر السوفياتي إلى الخليج ، أعدت إدارة الرئيس الأمريكي نيكسون إستراتيجية تقوم على أساس دعم عسكري قوي لإيران و السعودية في نفس الوقت، و يعود سبب هذا الدعم إلى أن نتائج التدخل العسكري الأمريكي في فيتنام لم تكن مشجعة للتدخل في منطقة أخرى ولم يكن الرأي العام الأمريكي يقبل بتدخل جديد لذلك رأت إدارة نيكسون ضرورة تأهيل إيران والسعودية عسكريا للقيام بمهام الدفاع عن الخليج حال ظهور الحاجة مع استعداد الولايات المتحدة لتقديم إسناد بحري و جوي وتقليص مشاركة القوات البرية ، وقد عرفت هذه السياسة (الدعامة المزدوجة Twin pillar) ولقد كانت إيران في ذلك الوقت تحظى بأفضلية على السعودية وكان شاه إيران يرغب في القيام بدور شرطي الخليج وشرحا لهذه السياسة حدد مساعد وزير الخارجية الأمريكي جوزيف سيسكو أمام الكونغرس في أب ١٩٧٢ بالنقاط التالية[٤٦]:

١. دعم التطور السياسي في المنطقة.
٢. دعم الحكومات القائمة للحفاظ على استقلالها مع تشجيعها على التعاون الإقليمي.
٣. المساعدة في تحديث الجيشين السعودي و الإيراني لتأهيلهما للدفاع عن بلديهما ورعاية امن الخليج.
٤. تكثيف الوجود الدبلوماسي الأمريكي.
٥. الإبقاء على قوة بحرية صغيرة في البحرين تقوم بزيارة موانىء الخليج كرمز للاهتمام الأمريكي.

---

[٤٥] د. محمد علي تميم ، العلاقات السعودية الأمريكية ١٩٦٤ – ١٩٧٥ دراسة تأريخية ، دار ميزوبوتاميا للنشر و الطباعة و التوزيع ، بغداد ٢٠٠٩ ، ص ١٤١ – ١٤٩.

[٤٦] أميل نخلة ، العلاقات العربية الأمريكية في الخليج العربي ، ترجمة فاروق عمر فوزي ، جامعة البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٧٨ ، ص ٤٩.

ولقد كانت الولايات المتحدة ترغب في رؤية نتائج دمج الأموال السعودية بالقوة العسكرية الإيرانية. ورغم نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ و قطع إمدادات النفط من الخليج فان الأهمية الإستراتيجية للسعودية لم تتأثر بل إنها أصبحت أكثر أهمية وهو ما دفع الولايات المتحدة إلى تعزيز وجودها العسكري في المحيط الهندي في قاعدة دييغو غارسيا[٤٧].

و منذ عام ١٩٧٩ دفعت الأحداث العلاقات السعودية الأمريكية إلى المزيد من الارتباط ففي ذلك العام سقط شاه إيران فخسرت الولايات المتحدة حليفا مهما، وجاء الخميني مع شعار تصدير الثورة الإسلامية، كما نشبت حرب محدودة بين اليمن الجنوبي الموالي للاتحاد السوفياتي واليمن الشمالي المقرب من السعودية والولايات المتحدة، كما قام الروس بغزو أفغانستان، ثم في عام ١٩٨٠ بدأت الحرب العراقية الإيرانية.

كان الرئيس كارتر قد اعد إستراتيجية جديدة في السنة الأخيرة لرئاسته في ضوء تلك المتغيرات وقد عززت تلك الإستراتيجية دور السعودية .. لقد أوضح كارتر في عام ١٩٨٠ إن أي محاولة من قبل قوة خارجية للسيطرة على الخليج سوف تعتبر اعتداء على المصالح الحيوية للولايات المتحدة و إن هذا الاعتداء سوف يردع بأي وسيلة بما فيها القوة العسكرية وكانت هذه رسالة واضحة للاتحاد السوفياتي. و إزاء هذه التطورات فقد رأت إدارة الرئيس كارتر ضرورة الاستعداد لاحتمالات التدخل العسكري المباشر في الخليج فتم إنشاء قوات (التدخل السريع) لمواجهة أي نزاع عسكري طارىء وتم إرسال طائرات اواكس إلى السعودية[٤٨].

وحين تسلم الرئيس ريغان رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ و مع الاحتلال السوفييتي لأفغانستان أصبح الخطر السوفياتي هو الشغل الشاغل للإدارة الأمريكية وسعت تلك الإدارة إلى تحفيز دول الخليج للتحالف معها في مواجهة الاتحاد السوفياتي ، ولقد أصبحت السعودية في هذه الفترة نقطة ارتكاز مهمة لتنفيذ السياسة الأمريكية في الخليج فازدادت مبيعات السلاح والمساعدة العسكرية والتمرينات المشتركة ، كما أعيد تشكيل قوات التدخل السريع لضمان نجاحها حين يلزم الأمر في تأمين تدفق النفط ومنع الروس من الوصول إلى المنطقة .. كما تحددت أهداف عملية لتلك القوات وهي الدفاع عن السعودية وضمان بقاء مضيق هرمز مفتوحا أمام ناقلات النفط وعدم توسع الحرب العراقية الإيرانية. ومع استمرار تلك الحرب وبدء حرب الناقلات ازداد التعاون الأمريكي السعودي الداعم للعراق وقد كانت إستراتيجية الدعم تقوم على عدم السماح لأي من الطرفين بتحقيق الانتصار، فيما كان التعاون السعودي الأمريكي في أفغانستان يستهدف حتما طرد الروس[٤٩].

بعد انتهاء الحرب العراقية الإيرانية وانحسار الخطر السوفياتي واجهت العلاقات السعودية الأمريكية اختبارا كبيرا تمثل في الغزو العراقي للكويت في أب عام ١٩٩٠ و قد تعززت الشراكة بين البلدين في حرب تحرير الكويت في عهد الرئيس جورج بوش واستقبلت السعودية ٤٠٠,٠٠٠ جندي أمريكي، ومن أراضيها انطلقت العمليات العسكرية البرية و الجوية ضد الجيش العراقي لإخراجه من الكويت. غير أن وجود القوات الأمريكية في السعودية تسبب في انكشاف الأوضاع الداخلية في المملكة على وسائل الإعلام الأمريكية.

في العام ١٩٩١ و بعد انهيار الاتحاد السوفياتي تماما" و زوال خطر الشيوعية و بعد التحجيم الذي أصاب القوى الإقليمية (العراق و إيران) ، فان السياسة الأمريكية لم تزل تعتبر استمرار تدفق نفط الخليج مصلحة حيوية بالنسبة لها، ولم تفقد السعودية أهميتها في عهد الرئيس كلينتون (وهو أول رئيس أمريكي بعد انتهاء الحرب الباردة) ذلك أن السياسة التي تبنتها إدارة كلينتون في الخليج تتطلب دعما هائلا من الأصدقاء في المنطقة.

لقد اعتمد كلينتون على سياسة (الاحتواء المزدوج) لكل من إيران و العراق و كذلك العقوبات الاقتصادية، وكي تنجح مثل هذه السياسة لابد من وجود قوات عسكرية قريبة تحقق عنصر الردع و لابد أيضا من تعاون الدول المحيطة بإيران و العراق لنجاح العقوبات الاقتصادية ، و إذا كان الخطر الشيوعي قد زال فان طبيعة النظامين الإيراني و العراقي جعلت احتمال عدم استقرار الخليج أمرا" جديا[٥٠].

و رغم قيام تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن بعمليات تفجير سفارتين أمريكيتين في كينيا وتنزانيا والرد الأمريكي بقصف معسكرات القاعدة في السودان و أفغانستان إلا أن العلاقات الأمريكية السعودية لم تتأثر إلى أن وقعت أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ م تلك الأحداث التي أدت إلى إعطاء دفعة قوية لمنهج الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن الذي كان قد تسلم زمام السلطة للتو حاملا في جيبه أفكار و خطط اليمين المسيحي المتشدد و المتصهين و الملتقي مع خطط و أجندات المحافظين الجدد.

---

[٤٧] د. محمد تميم ، مصدر سابق ، ص ١٥١ – ١٨٢

[٤٨] يوسف ابراهيم الجهماني ، الاسلام و الغرب : العلاقات السعودية الأمريكية نموذجاً (١١ ايلول / سبتمبر) ، دار حوران للطباعة و النشر ، دمشق ، ٢٠٠٣ ، ص ٥٨

[٤٩] المصدر نفسه ، ص ٥٩ - ٦١

[٥٠] المصدر نفسه ، ص ٦٩.

لقد تغير وجه العالم و وجه المنطقة و العلاقات السعودية الأمريكية بعد تلك الأحداث و تعالت الصيحات إلى اعتبار السعودية مجتمع معادي بحاجة هو وبقية مجتمعات الشرق الأوسط إلى التغيير و ذلك استدعى طرح مشاريع جديدة في السياسة الخارجية الأمريكية تضغط بقوة لنمط علاقات جديد.

القسم الثاني : العلاقات السعودية الأمريكية / العوامل المؤثرة فيها و أفاق مستقبلها

في أصول منهج البحث العلمي و في إطار دراسة القضايا بطريقة مثمرة و منتجة و مفيدة لابد للباحث من أن يفرد مساحة مهمة لعملية التحليل ليتجاوز آلية جمع و استقراء و عرض الوقائع إلى محاولة استكشاف و استنباط و فهم الجوانب الجوهرية الفاعلة و المحركة للقضية وصولا إلى استيعاب آلياتها و قوانينها و بذلك تكون الرؤية كاملة من ناحية المنهج قدر الإمكان و يكون البحث مجديا" و نافعا" و مؤديا إلى أغراضه.

إن مادة أي تحليل علمي لابد أن تكون الوقائع. و الوقائع التي تم سردها و عرضها فيما مضى من مباحث إنما الغرض منه ليس السرد القصصي لأغراض التوثيق التاريخي و لا لأغراض الدعاية و العمل الصحفي ، إنما كنا نبغي من وراء ذلك التمهيد توفير المادة التي سنحاول سبر أغوارها و فهم صيرورتها محاولين صياغة فكرة ماكروية (Macro) حول الموضوع بعد أن قدما السرد المايكروي (Micro) لها. و لابد لنا ، و نحن نعمل نظرنا و تفكيرنا فيما سردناه و نسرده من وقائع في دراستنا ، من استذكار بعض الافكار و المباديء النظرية عن عن أنماط علاقات التحالف و معاهدات التعاون التي تنشأ بين الدول و العوامل و العناصر الحاكمة فيها و في رسم أبعادها و مساراتها و هذا ما سنبدأ به كمبحث أولي لهذا القسم قبل الانتقال الى عملية التحليل للعوامل المؤثرة في السياسة الخارجية السعودية.

المبحث الأول : العوامل المؤثر في السياسة الخارجية السعودية

حين استعرضنا كيفية نشوء الدولة السعودية في بدايتها الأولى عام ١٧٤٤ م ظهر بجلاء أنها إنما قامت و تحولت من مشيخة قبلية بسيطة في مدينة صغيرة هي الدرعية إلى دولة إقليمية موحدة شملت شبه الجزيرة العربية و امتد سلطانها إلى مناطق واسعة من جنوب العراق و جنوب سوريا و شرق الأردن و أطراف عمان و مسقط و اليمن ، إن هذه الدولة قد قامت و حملت مشروعا" عقائديا دعويا" إسلاميا" و هي بهذا تحمل صفات الدولة العقائدية و الإسلام و الدعوة الإسلامية تمثل ركنا" أساسيا" و سمة مهمة في أصل تكوينها و نشأتها و بالتالي عاملا مؤثرا" في صياغة تحركاتها في ميدان السياسة الخارجية.

إن هذا العامل الديني و إن كانت صورته و ملامحه قد بقيت إلا أن دوره و مقدار تأثيره قد تغير في قيام الدولة السعودية الثانية و الدولة السعودية الثالثة. فبعد أن كان مشاركا" أساسيا" جوهريا" و محوريا" في الصياغة و الفعل صار جزءا" مكملا" للصورة فيما كان الجهد الشخصي لأفراد العائلة السعودية و تحركهم باتجاه استعادة سلطتهم التي فقدوها هو الأكثر تأثيرا" و فاعلية بحيث أن دور الشيخ و الداعية جاء تاليا" و عقب حدوث الحدث و ليس كما كان في السابق المشارك فيه منذ اللحظة الأولى.

نرى في قصة أحداث قيام الدولة السعودية الثانية أن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان عند قيامها يعيش في المنفى في مصر مع بقية عائلة ال شيخ الذين نفاهم إبراهيم باشا عند إسقاطه للدولة السعودية الأولى و إن الشيخ عبد الرحمن أو أي من علماء الدين و الدعاة الآخرين لم يشارك في عملية التحرك لإعادة بناء الدولة مجددا بأي شكل من الأشكال و إنما بعد أن استقر الأمر للأمير تركي في العاصمة الرياض و ما حولها و أصبح الإمام بعث إليه حيث عاد إلى الرياض في العام ١٨٢٥ م ليتولى الشؤون الدينية و إبداء المشورة في تسيير أمورها[٥١].

و حين قام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل ال سعود بالنشاط و الاتصالات و العمل على تهيئة الأمور لإعادة بناء الدولة السعودية من جديد من منفاه في الكويت لم يكن هناك دور للمشايخ و علماء الدين أو للفكر الديني دور مهم و بارز في هذا المشروع إلا إن ذلك لا يعني بالتأكيد غياب العامل الديني تماما إنما تراجع دوره و تأثيره و أهميته في الموضوع.

إن العامل الديني و تأثيره في الحياة السياسية لدى الشعوب الإسلامية أمر واضح على مر الأزمنة و كثيرا" ما يعمل الساسة على توظيفه بالشكل الذي يخدم قضاياهم و لكن ما فهم من تاريخ نشأة الدولة السعودية الأولى ان هذا العامل لم يكن عاملا موظفا" من قبل السياسيين و لأغراضهم و إنما كان نهضة فكرية مشاركة في العمل السياسي لخدمة أغراضها ذاتها و ليس لخدمة غرض سياسي. لقد وظف الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ال سعود العنصر الديني بشكل ذكي حين قام بإنشاء قرى الهجر و جيش الإخوان ثم حله لاحقا" بعد انقضاء حاجته إليه. كذلك أحسن الملك عبد العزيز و من بعده ملوك الدولة السعودية الثالثة استخدام العامل

---

[٥١] موقع الأمير خالد بن سلطان على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) / مصدر سبق ذكره
http://www.muqatel.com/openshare/indexf.html

الديني في مكافحة الافكار الثورية سواء الاشتراكية او القومية التقدمية العلمانية و في ذلك التقت مصالحه مع مصالح حلفائه من الدول الكبرى بريطانيا أولا" ثم الولايات المتحدة الأمريكية لاحقا".

لقد مثل موضوع مكافحة الافكار الثورية مرتكزا أساسيا" في السياسة الخارجية السعودية و في ذلك كان هذا المرتكز يؤدي خدمة لمقاربتين في هذه المسألة المقاربة الأولى هي المقاربة الوطنية و موضوعة الامن الوطني و المقاربة الثانية هي تأدية دور في اطار سياسة تحالف تقتضي العمل على مكافحة أخطار مشتركة.

ان الامن الوطني و سلامة النظام كانت و لا زالت قضية محورية في الدولة السعودية كما هي في غالب الدول العربية و الاسلامية و بلدان العالم الثالث و تعتبر قضية الامن الوطني مختصرة و مركزة في امن النظام و السلطة الحاكمة

المبحث الثاني : العوامل المؤثرة في العلاقات السعودية الأمريكية

ظهر اهتمام واشنطن بالنفط السعودي منذ أوائل الأربعينيات، حيث شكلت لجنة من الداخلية والخارجية، والحربية والبحرية ومكتب التعبئة الحربية عام ١٩٤٣م ، واقترح إنشاء هيئة تسعى لامتلاك احتياطات نفطية خارجية، وأن تبدأ واشنطن خطوات لامتلاك حصة في حقول النفط السعودي البالغة الأهمية، وأنشئت هيئة تحت اسم بتروليوم ريزرف كوربريشن ، ولكن الخارجية الأمريكية أعادت النظر في حساباتها خشية من ردة فعل بريطانية، قد تؤثر على العمليات المستقبلية لشركات النفط الأمريكية ، وبرزت منذ ذلك الحين وزارة الخارجية الأمريكية في رسم السياسة الأمريكية فيما يتعلق بالأمور النفطية الدولية ، مما كان له تأثير على سياسة واشنطن تجاه السعودية، والعمل على تحقيق المصالح النفطية، والمخزون الإستراتيجي، مما يوضح أهمية النفط السعودي لدى الولايات المتحدة.

وهكذا نرى أن النفط والسياسة يمثلان وجهين لعملة واحدة لدى صانعي القرار السعودي والأمريكي وقد أثر النفط تأثيراً رئيساً في تأكيد الثقل السياسي والاقتصادي للمملكة العربية السعودية منذ اكتشافه في عهد الملك عبد العزيز الذي فضل العرض الأمريكي على بقية العروض؛ نظراً لتوجهات السياسة الأمريكية التقليدية المناصرة لحرية الشعوب واستقلالها من خلال مبادئ ويلسون الأربعة عشر، وهذا ما أكد عليه الملك عبد العزيز في لقائه التاريخي مع الرئيس الأمريكي روزفلت.

كما أن لا أحد ينكر أن للولايات المتحدة مصلحة مباشرة ومستمرة في إمدادات النفط السعودي لوقت غير محدد مستقبلاً، فواشنطن مع حلفائها لا تستطيع الاستغناء عن الكميات الهائلة من احتياطات النفط السعودي، وفي حالة انقطاعها فإن التكلفة ستكون كارثة بالنسبة للاقتصاد العالمي، وكساداً عالمياً كالذي شهده العالم في الثلاثينيات من هذا القرن.

و كما أشار بنسون لي جريسون إلى أهمية العلاقات السعودية الأمريكية بقوله : ما من دولة من جميع دول العالم قاطبة تمثل لدى الولايات المتحدة أهمية أكبر من تلك التي تمثلها هذه المملكة ، فالاحتياطات النفطية الهائلة الموجودة في السعودية جعلت أمريكا تعول على استمرار استقلال هذه الدولة ، وأن حسن النوايا إزاءها على نحو لم تفرض الظروف مثيلاً له من قبل على الولايات المتحدة بالنسبة لأي دولة في تاريخها ... لقد برزت المملكة بصفتها أهم مصدر خارجي للنفط الأمريكي ... وقدرة المملكة بصفتها أكبر منتج للنفط على زيادة إنتاجها زيادة ضخمة، وعلى تسويق نفطها بأسعار تقل كثيراً مما يطلبه المنتجون الآخرون، أصبحت عاملاً مؤثراً في فرض استقرار نسبي على سوق النفط العالمي وعلى تفادي وقوع أزمة اقتصادية عالمية ... في ظل ظروف كهذه يكون من الحيوي لسياسة واشنطن تجاه السعودية أن تلقى الاهتمام الذي تستحقه في هذا البلد.

و قد أصبح من الثابت أن المملكة العربية السعودية تداخل في صنع قرارها السياسي العامل النفطي، وأصبح هذا العامل أحد محاور الدبلوماسية السعودية، ليس مع واشنطن ولكن مع الغرب و اليابان بزعامة واشنطن ، وهناك عوامل سياسية واقتصادية أملت سياسة التوازن والاعتدال في السياسة النفطية السعودية داخل منظمة الأوبك، سواء في مجال الإنتاج أم الأسعار والقيادة السعودية تؤكد الأبعاد السياسية في سياستها النفطية، كما تنظر إلى موارد النفط بصفته مورداً رئيساً للمملكة لتمويل سياستها التنموية، واستطاعت السعودية بمواقفها داخل الأوبك كبح جماح الاتجاهات المعاكسة التي تسعى إلى رفع الأسعار وتخفيض الإنتاج ، ويرى بعض المحللين أن المملكة العربية السعودية استطاعت استعمال سياستها النفطية بصفتها عامل ضغط سياسي لتحقيق مكاسب أخرى، خاصة في مجال التسليح، فسياستها النفطية أكسبتها تعاطف الكونجرس الأمريكي لتمرير صفقات السلاح ، واستطاعت استعمال سلاح النفط للضغط على واشنطن لاتباع سياسة أمريكية متوازنة في قضية النزاع الشرق أوسطي، كما أن اتباع هذه السياسة المتوازنة والمعتدلة في منظمة الأوبك كانت ذات جدوى اقتصادية على المدى الطويل، ورغبة في إنشاء نظام اقتصادي عالمي مستقر، وهذا ما استهدفه الملك فيصل – رحمه الله – في عدم المواجهة مع الدول المنتجة والمستهلكة، والدعوة للحوار بين الشمال والجنوب.

و هكذا أصبحت المملكة تحتل أهمية خاصة من بين دول المنطقة من قبل الولايات المتحدة ، فالاحتياطات النفطية الهائلة الموجودة في السعودية واستقرار النظام السعودي وسياسته التي تتسم بالاعتدال في الشؤون النفطية أبرزتها اليوم بصفتها أهم مصدر خارجي للنفط الأمريكي، وقدرة السعودية بصفتها أكبر منتج للنفط وتسويق نفطها بأسعار معتدلة، مما يطلب المنتجون الآخرون حتى أصبحت عاملاً مؤثراً في فرض استقرار على سوق النفط العالمي، وهكذا في عقد الثمانينيات والتسعينيات تظهر الصورة واضحة أمام المحللين الإستراتيجيين والسياسيين والمؤرخين المتتبعين لشؤون المنطقة أهمية منطقة الخليج العربي، والنفط وذلك على حسب شهادات الرؤساء ووزراء الخارجية والدفاع الأمريكي، حيث تتركز مصادر النفط واحتياطي النفط العالمية، والسياسة الأمريكية، وضعت مجموعة من الثوابت في سياستها مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج ارتكزت على ما يأتي :

١. المحافظة على سيادة دول المنطقة واستقلالها في احتمال أي تهديد سوفييتي أو إقليمي – من إيران – أو العراق.
٢. تأمين الإمدادات النفطية، وهي تمثل أهمية حيوية اقتصادية وإستراتيجية لأمن العالم الغربي واستقراره في سياسات إنتاجية و تسعيرية معتدلة.

يعد البندان ركيزة من ركائز السياسة الأمريكية في تعاملها مع دول المنطقة، إلا أن الاكتساح السوفييتي لأفغانستان أدى إلى إعادة تقويم السياسة الأمريكية، وعد منطقة جنوب غرب آسيا منطقة انتكاسات دولية، ولقد أعلنت واشنطن أن أي تحرك بعد أفغانستان يؤدي إلى تهديد منطقة الخليج، وسيقابل بالردع الأمريكي، بما في ذلك استعمال القوة العسكرية، وتشمل المنطقة إيران وباكستان والخليج، مما زاد في تأكيد أهمية إيران الإستراتيجية في ميزان القوى الإقليمية، وهناك مبدأ عام في أهمية المحافظة على الصداقة التقليدية الأمريكية – مع دول الخليج ، وظهر ذلك واضحاً في تسهيلات تمرير الصفقات التسليحية لإيران ودول الخليج

المبحث الثالث : الحادي عشر من أيلول و أثاره

إن من الخطأ الاعتقاد بأن حمل الجنسية السعودية من قبل عدد كبير من منفذي أحداث الحادي عشر من أيلول (١٤ شخص من مجموع ١٩ شخص) هو فقط السبب الوحيد وراء الخلل الذي يشوب العلاقات الأمريكية السعودية حاليا، كما انه من الخطأ الاعتقاد بأن الأوضاع الداخلية للمملكة هي السبب، فهذه الأوضاع هي اليوم و بلاشك تتطور بشكل أفضل مما كانت عليه في العقود الأربعة الماضية.

إن أحداث الحادي عشر من أيلول يمكن أن تكون مجرد العنوان و المفصل الذي عنده انكشفت حقيقة الأفكار و السياسات التي تجول في بال صانعي إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي و مراكز صنع القرار. إن مصالح الولايات المتحدة الحيوية هي التي تصوغ سياساتها، و إن التبدل الجذري في مصادر الخطر على تلك المصالح و ما استتبع ذلك من تبدل جذري في السياسات يمكن أن يكون هو الإطار الشامل لفهم الأسباب وراء ذلك الخلل.

إن انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١ قد أزال الخطر الذي صاغ سياسات الولايات المتحدة منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولقد رأينا في العرض السابق اثر ذلك الخطر على العلاقات الأمريكية في الشرق الأوسط عموما و في الخليج، و إذ انشغلت إدارة الرئيس كلينتون في الفترة بين ١٩٩٢ إلى 2000 بدول أوروبا الشرقية من جهة وبمحاولة احتواء إيران والعراق من جهة أخرى، فإنها غفلت عن تحديد مصادر الخطر المحتملة والمتمثلة في الجماعات الإسلامية المتشددة، ولم تتمكن تلك الإدارة من صوغ إستراتيجية جديدة للشرق الأوسط لفترة ما بعد الحرب الباردة. وإذا لم تكن سياسات الرئيس بوش تجاه الشرق الأوسط واضحة بعد حين وقعت أحداث الحادي عشر من أيلول، فقد صاغت تلك الأحداث سياسات الرئيس بوش الابن تجاه المنطقة. ولعله من الجدير ملاحظة إن عوامل نفسية تحكمت إلى حد بعيد في صياغة تلك السياسات فالهجمات أصابت الكبرياء الأمريكي في مقتل. ورغم أن الرد الأمريكي على تلك الهجمات بدا سريعا عبر حرب أفغانستان، إلا أن الرد الحقيقي والأهم تجسد في إستراتيجية الرئيس بوش التي أعلنها في أيلول عام ٢٠٠٢.

إن فهم تلك الإستراتيجية والأفكار التي تستند إليها هو أفضل وسيلة لفهم مصدر الخلل الحالي في العلاقات الأمريكية السعودية. فتلك الأحداث هي التي حفزت الإدارة الأمريكية لصياغة سياسة جديدة تجاه الشرق الأوسط لحماية مصالحها.

تنطلق إستراتيجية الرئيس بوش من حقيقة فرضتها أحداث الحادي عشر من أيلول وهي أن أمن الولايات المتحدة وليس مصالحها فقط يأتي من الشرق الأوسط، أو كما قال مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى وليام بيرنز : في الشرق الأوسط يعيش أقرب الأصدقاء لنا، ويوجد ثلثا احتياط النفط العالمي ، ومنه جاء إرهابيو الحادي عشر من أيلول .. ، و تسعى الإستراتيجية إلى ضمان أمن الولايات المتحدة الداخلي عبر تجفيف منابع الخطر فيما وراء البحار، وتعتبر الإستراتيجية الإرهاب الدولي العدو الأول الذي حل محل

الخطر الشيوعي. بل إنها تعتبر الإرهاب الدولي أكثر خطرا، فأحداث الفوضى والألم في الولايات المتحدة لا يحتاج كما تقول الإستراتيجية أكثر من شبكات مستترة من الأفراد وبثمن يقل عن ثمن شراء دبابة واحدة.

و إذ تشرع الإستراتيجية في بيان عناصر القوة الأمريكية المتوفرة في الترسانة العسكرية فإنها تحذر الدول التي تساند الإرهاب وتقول : سوف تحاسب الولايات المتحدة الدول التي تتورط في الإرهاب من ضمنها تلك التي تمنح ملاذاً آمناً للإرهابيين لأن حلفاء الإرهاب هم أعداء الحضارة.

وتؤكد الإستراتيجية أن على الولايات المتحدة أن تدافع عن الحرية والعدالة لأن هذه المبادئ حق وصواب لجميع الشعوب أينما كانت، ولا تملك هذه الطموحات دولة واحدة، كما ما من دولة مستثناة منها وتشير الإستراتيجية إلى التوحيد بين القيم والمصالح الأمريكية، وتذهب إلى حد إعلان أن الولايات المتحدة سوف تشن حرب أفكار لكسب المعركة ضد الإرهاب الدولي وإنها سوف تدعم الحكومات المعتدلة والعصرية في العالم الإسلامي لتضمن ألا توفر الظروف والعقائد التي يروجها الإرهابيون أرضاً خصبة في أي دولة.

وباختصار شديد يمكن القول إن الإدارات الأمريكية المتعاقبة وحتى سقوط الاتحاد السوفييتي لم تكن معنية كثيرا" بالشؤون الداخلية للدول الحليفة لها طالما أن علاقاتها مع الأنظمة الحاكمة مريحة وطالما كانت تلك الأنظمة تراعي المصالح الأمريكية. وكثيرا ما كانت الإدارة الأمريكية تغض النظر عن تجاوزات تلك الأنظمة في مجال حقوق الإنسان بل إنها كانت تحث تلك الأنظمة ـ بحجة مكافحة الشيوعية ـ على قمع الحركات الشعبية التي تطالب بالانفتاح السياسي... لقد كان ضمان تدفق المصالح الأمريكية يتطلب دعم الأنظمة المناهضة للاتحاد السوفييتي... أما بعد أحداث الحادي عشر من أيلول فقد أصبح ضمان «أمن ومصالح» الولايات المتحدة يتطلب فرض القيم الأمريكية حتى أن الكويت التي حررتها الولايات المتحدة من قوات صدام حسين عام ١٩٩١ لم تتعرض في السنوات العشر اللاحقة إلى ضغط أمريكي لتعديل سياستها الداخلية بقدر ما تعرضت له بعد الحادي عشر من أيلول.

في ٨ تشرين ثاني ٢٠٠٢ ألقى مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى وليام بيرنز خطاباً مهماً في مجلس الشؤون العالمية في بليتمور بولاية ماريلاند قال فيه إن «الحقيقة المجردة هي أن الشرق الأوسط الغارق في مستنقع النزاعات الداخلية يشكل تهديداً للشعب الأمريكي». ويضيف متحدثاً عن الإصلاح السياسي والاقتصادي في دول الشرق الأوسط قائلاً : «بالنسبة للولايات المتحدة من مصلحتنا العميقة تشجيع هذه التغييرات الهيكلية طويلة الأجل ... تقع معظم هذه التحديات خارج سيطرتنا لكن لا واحدة منها تبقى خارج نطاق نفوذنا».!

ولعله من المهم جداً التمعن في محتويات خطاب آخر ألقاه وليم بيرنز في مايو ٢٠٠٣ شارحاً جانباً من أجندة العمل الأمريكية طبقاً لإستراتيجية الرئيس بوش. لقد حدد بيرنز في خطابه المهم أربع نقاط ذات أهمية خاصة في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط، أولها: إعطاء «تحدي تحقيق انفتاح الأنظمة السياسية في المنطقة أولوية» ويقول شرحاً لهذه النقطة «لقد التحقت بالسلك الدبلوماسي الأمريكي منذ واحد وعشرين عاماً وخدمت في عهد أربع إدارات وقد أمضيت معظم ذلك الوقت في العمل على قضايا شرق أوسطية، والقول إننا لم نول إطلاقا اهتماما كافياً لما ينطوي عليه تحقيق انفتاح بعض الأنظمة السياسية المتجمدة على المدى الطويل من أهمية خاصة في العالم العربي، هو انتقاد منصف لجميع جهودنا خلال تلك السنوات «ويضيف أن تحقيق الانفتاح السياسي «ليس مجرد مسألة قيم أمريكية أو ضمان حقوق الإنسان الأساسية ... إنه أيضاً مسألة مصالح أمريكية واقعية» ثم يقول إن «الاستقرار ليس ظاهرة جامدة لا متغيرة، والأنظمة التي لا تجد سبلاً للتكيف مع تطلعات شعوبها إلى المشاركة ستصبح أنظمة هشة قابلة للاحتراق» ثم يؤكد بعد ذلك أن الشرق الأوسط «لا يتمتع بأي حصانة من هذه الحقيقة تميزه عن أي جزء آخر في العالم» وان بعض الأنظمة العربية ستجد صعوبة في التغيير «وقد لا يتقدم بعضها إلى الحد الكافي بالسرعة الكافية وقد لا يبذل بعضها محاولة جاهدة على الإطلاق وهذه هي الأنظمة التي يرجح انضمامها أكثر من غيرها إلى صفوف الدول الفاشلة حول العالم» ثم يشير بيرنز إلى أن الرئيس بوش يعتقد انه «من مصلحتنا جداً في الأمد الطويل أن ندعم التغيير الديموقراطي» مؤكداً أن هذا التغيير ليس «مجرد تغيرات سطحية أو تجميلية أو تغيرات يتم تأجيلها بشكل مستمر ... بل هي تغير حقيقي». و في سبيل تحقيق هذا «التغير الحقيقي» أعدت إدارة الرئيس بوش برامج مفصلة ضمن «مبادرة الشراكة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط» وهي برامج تندرج تحت عناوين الإصلاح السياسي و الإصلاح الاقتصادي و الإصلاح التعليمي.

إن إدارة الرئيس بوش ترى أن الخطر الرئيسي على أمن ومصالح الولايات المتحدة هو «الإرهاب الدولي» أو بعبارة أكثر صراحة هو «الإرهاب الإسلامي» لذلك فهي عازمة على تغيير البيئة التي تعتقد أن هذا الإرهاب يزدهر فيها.

إن الخلل القائم حاليا في العلاقات السعودية الأمريكية هو نتاج تغير المعادلات السياسية الدولية والإقليمية تغيرا جذريا .. فقد سقط الاتحاد السوفييتي وزال خطر الشيوعية، واندثر القوميون العرب، وبرزت الجماعات الإسلامية، وزال نظام صدام حسين، و إيران تحت الاحتواء الأمريكي. والعراق ونفطه تحت الاحتلال

الأمريكي، فيما يتنامى خطر» الإرهاب الإسلامي» الذي وصل الأراضي الأمريكية .. إن كل هذه المتغيرات لا بد وأن تغير المبادىء التي قامت عليها السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط منذ عهد الرئيس إيزنهاور وهو العهد الذي بدأت فيه الشراكة الأمريكية السعودية.. ووسط هذه المتغيرات الجذرية لم تعد السعودية ركيزة أساسية من ركائز السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بقدر ما هي ساحة تغيير. لقد انخفضت القيمة الإستراتيجية للدور السياسي السعودي وإن استمر النفط في الحفاظ على أهميته غير أنه فقد قيمته ـ وسط هذه المتغيرات ـ كأداة سياسية مؤثرة في العلاقات الأمريكية السعودية، ويمكن للنفط العراقي أن يحد كثيرا من أي «استخدام سياسي» للنفط السعودي لقد تغيرت المعادلات ويجري الآن صياغة معادلات بديلة.

المبحث الرابع : الاحتمالات و الأفاق

في ١٠ يوليو ٢٠٠٢ وقف لوران ميورافيك (Laurent Murawiec) ، المفكر الاستراتيجي الفرنسي الأصل المهاجر حديثا إلي الولايات المتحدة، والمحلل السياسي في مؤسسة راند (RAND)* ، ليتحدث أمام مجلس سياسات الدفاع التابع للبنتاغون ، وهو مجلس مكون من حوالي ثلاثين شخصا منهم وزراء دفاع ورؤساء هيئة أركان حرب سابقون وأعضاء كونجرس ، مهمته الأساسية هي تشجيع وفحص الأفكار الإستراتيجية الجديدة وغير المطروقة. وترفع توصياته إلى وزير الدفاع لأخذها في الاعتبار.

كان عنوان الحديث استفزازيا، وهو (لا سعودية de-Saudize Arabia) وأهمية الموضوع تنبع أساسا من أن الكلام عن السعودية كان حتى ذلك الوقت "تابو" بالنسبة للإدارة. وبعد انتهائه استمرت المناقشة لساعة ونصف. بعد أيام نشرت صحيفة الواشنطن بوست محتوى المحاضرة تحت عنوان لافت للنظر وخبر يقول يقول أن التحليل يشير للسعوديين كأعداء ويدعو لتقديم إنذار لهم : إما التوقف عن مساندة الإرهاب أو تحمل كافة النتائج وبهذا التحقيق الصحفي أصبح الموضوع ، الذي هو في الأصل مخصص لنقاش المختصين وراء الجدران ، محور اهتمام وسائل الإعلام لأسابيع وانتهى الأمر بأن ترك ميورافيك موقعه في مؤسسة راند تحت ضغط ، والتحق بمعهد هدسون للدراسات الإستراتيجية. وفي تشرين ثاني ٢٠٠٣ أصدر ميورافيك كتاباً باللغة الفرنسية بعنوان (الحرب في القرن الحادي و العشرين / La guerre au XXIe siecle) ضمنه مجمل هذه الافكار[٥٢].

إن الولايات المتحدة لم تعد بحاجة إلى استخدام الأراضي السعودية لتأمين تواجدها العسكري أمام الاندفاع القطري و الاستعداد الكويتي و التبرع البحريني هذا في حال الانسحاب من العراق. إن السعودية في وضع لا تحسد عليه إطلاقا، وتحتاج المملكة إلى إعادة صياغة سياساتها الداخلية والخارجية للتأقلم مع المتغيرات الدولية و الإقليمية. والسؤال الذي يطرح نفسه هو ماذا تملك المملكة من أدوات التغيير؟ على المستوى الداخلي «فأهل مكة أدرى بشعابها» لكن المؤكد هو أن المسافة الفاصلة بين الشأن الداخلي والشأن الخارجي تقلصت كثيرا و أعتقد أن صياغة سعودية رسمية وشعبية لمشروع تطوير سياسي حقيقي في المملكة أفضل بكثير من الاكتفاء بمقاومة مشروع الإصلاح الأمريكي دون تقديم بديل، فلن يكون في مقدور السلطات السعودية مواجهة الضغط الأمريكي بالصيغ الجامدة القديمة و من دون مشاركة فاعلة تلقائية من الشعب السعودي ذاته.

أما على الصعيد الخارجي فليس بإمكان السعودية إحياء الشيوعية فزيارة الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي إلى موسكو مؤخرا والزخم الذي صاحب تلك الزيارة، وحاجة روسيا إلى «الأموال السعودية» كل ذلك لن يكفي بالتأكيد لكي يعود العالم لأجواء الحرب الباردة التي تؤدي إلى استعادة المملكة أهميتها الإستراتيجية السابقة حتى لو انضمت روسيا إلى منظمة المؤتمر الإسلامي. ولا يمكن إعادة عبد الناصر إلى حكم مصر ولا يكفي عرقلة الاعتراف العربي بمجلس الحكم العراقي لإجبار الولايات المتحدة على التراجع عن سياساتها تجاه الشرق الأوسط. إن الأوراق التي تلعب بها السعودية حتى الآن لموازنة علاقاتها مع الولايات المتحدة غير مؤثرة فالأنظمة العربية جميعها وبلا استثناء تتسابق لدرء الغضب الأمريكي، ودول الخليج التي كانت تتبع المملكة أصبحت تجتهد في «التماس العذر من الشقيقة الكبرى» بعد أن كسرت قطر الحاجز النفسي في استقلالية القرار، كما أن التيار الشعبي العربي الأقوى في معاداته للولايات المتحدة هو التيار الإسلامي لكن

---

* مؤسسة أبحاث و دراسات استراتيجية (Think Tank) أمريكية تأسست عام ١٩٤٨م بمبادرة فردية من ضابط سلاح جو امريكي متقاعد بالشراكة مع مؤسس شركة دوغلاس الامريكية لانتاج الطائرات. تطورت مؤسسة راند و التي اتخذت اسمها من الاختصار لكلمات (**D**evelopment **AN**d **R**esearch) لتصبح كيان أبحاث و دراسات عالمي يغطي كثير من القضايا و يحصل على تمويله من عدة مصادر على رأسها الحكومة الامريكية و يمكن التعرف على هذه المؤسسة و نشاطها عن طريق زيارة موقعها على شبكة الانترنت على الرابط التالي :
http://www.rand.org/

٥٢ أمير طاهري ، لوران موراويك : السعودية تحتاج الى صدمة حقيقية ، صحيفة الشرق الأوسط (اللندنية) ، العدد ٨٧٨٥ ، ١٧ كانون أول ٢٠٠٢.

المملكة تدرك أنه من الخطورة بمكان استمرار دعم هذا التيار واستخدامه في هذه الفترة بالذات كما فعلت مع القوميين العرب، فهذا التيار ليس تنظيريا و يصعب التحكم فيه. وهكذا فليس أمام المملكة سوى مكانين للتحرك والمناورة بعيدا عن شؤونها الداخلية : العراق و واشنطن «فالأموال السعودية» يمكن أن تلعب دورا مهما هناك.

أما من جانب الولايات المتحدة فإن إدارة الرئيس بوش لا بد أنها تدرك الآن بعد تجربتها القصيرة في العراق أن «الحماس» عند صياغة الخطط والبرامج ورسم السياسات لا يكفي لضمان تحقيق الأهداف. بل قد يتسبب الحماس في الصياغة إلى اندفاع غير محسوب عند التنفيذ .. إن سهولة إسقاط نظام صدام حسين لا تعني أن إعادة بناء العراق وتحويله إلى «الدولة النموذج» أمر سهل بدوره .. كما أن القدرة على «فرض» الإصلاح السياسي لا تعني أن النتائج سوف تكون مذهلة حتما. أليست إستراتيجية الرئيس بوش موجهة أساسا للتعامل مع «أدوات و نتائج» السياسة الأمريكية في السنوات السابقة إن صدام حسين و طالبان و بن لادن أيضا كانوا في وقت ما و نتيجة التقاء المصالح شيء شبيه بمظهر الأدوات الأمريكية.

في كانون الثاني عام ١٩٥٦ طالبت بريطانيا الولايات المتحدة إتباع سياسة متشددة ضد السعودية وقد تم عقد عدة اجتماعات في واشنطن بين مسؤولين بريطانيين وأمريكان لمناقشة هذه المسألة .. وتعليقا على الإلحاح البريطاني كتب وليام مانتج رونتري (William Manning Rountree) مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشؤون الشرق الأدنى مذكرة إلى رئيسه قال فيها :

The British desire to show firmness is probably shared by many people. our view is that we should be careful not to exert more pressure than the traffic will bear.

ربما يشارك أناس كثيرين الرغبة البريطانية في التشدد ، وجهة نظرنا إننا ينبغي أن نكون حذرين فلا نمارس ضغطا أكثر مما يمكن تحمله.

إنني أعتقد أن الولايات المتحدة بحاجة اليوم إلى التمعن جيدا في محتوى تلك المذكرة .. فلا يبدو أن أحدا يحسب النتائج المحتملة.

الخاتمة

يتضح من مجمل البحث أعلاه أن علاقة التحالف التي نشأت بين الدولة السعودية الحالية (الثالثة) و الولايات المتحدة الأمريكية قد اتسمت بقدر كبير من الخلل و عدم التوازن و يعود ذلك في تقديرنا الى خصائص بنيوية في أصل عملية بناء النظام السياسي للدولة السعودية الثالثة حيث إن أسس و اليات قيامها و تطورها قد اختلفت عن الدولة السعودية الأولى. فالأولى رأيناها قد تأسست على عقد تم بين رجل دين و داعية اسلامي متشدد و شيخ قبيلة بدوي منقطع عن الشؤون السياسية والدولية فيما الدولة السعودية الثالثة قامت على يد رجل سليل أسرة حاكمة قادته الظروف للاتصال بالإمبراطورية البريطانية في منفاه عند أسرة آل صباح في الكويت في مطلع القرن الماضي. لقد أدى ذلك إلى ممارسة أنماط وصيغ معينة في السياسة الخارجية للدولة السعودية الحديثة تمثلت في بنائها تحالفات قوية و راسخة طويلة الأمد مع عدد معين و محدد من القوى الدولية المؤثرة و الفاعلة و قد ترتب على هذه التحالفات حصول بعض الخلل في قضية التوازن في العلاقات التحالفية التي يقتضي قيام التحالفات السليمة و المثمرة المحافظة عليها و التي يبدو أن صانع القرار السعودي و لأسباب خاصة به كما حاولت الدراسة أن توضحه قد جانبها.

إن ارتكاز عملية بناء و استقرار الدولة السعودية في مفاصل معينة إبان الدولة الثانية و الثالثة بشكل أو بأخر على تعاون مع قوى دولية فاعلة و مؤثرة و التحالف معها و عدم العناية بعملية بناء الذات و بناء المشروعية السياسية الداخلية على نطاق واسع و عميق و مستقر مكن و يمكن قوى التحالف من إحداث خلل في كفة التوازن لصالحهم.

ان السعودية بلد كبير و مهم و ذو موقع و موارد مهمة مما يعطيه إمكانيات واسعة في عمليات عقد المفاوضات و التحالفات و مساحة كبيرة للمناورات الإستراتيجية و ا لتكتيكية و ما ينقصه هو إرادة صانع القرار السياسي الذي يستطيع اخذ خيارات و بدائل كثيرة تستطيع أن تؤمن له معالجة محطات الخلل و الزلل.

The Balance and unbalance in alliance relations The Saudi Arabia and United State Relation as model

Basma Khalil Namuq
The collage of political science - Baghdad University

Abstract:

Saudi Arabia and United States long relation could present an important subject to understand alliance kind in international relations types. We trying in this study to diagnose and analyze the Saudi Arabia and United States model to find balance and unbalance statues and its influence on the directions of Saudi Arabia foreign policy positions.

We divided the study in two parts, each part have many sections. The first part deal with the historian emergence of Saudi Arabia state and its development in three stages including its foreign relations with regions and international powers. While the second part was dedicated in analyzing and understanding the mechanism and active facts that drawing the Saudi Arabia foreign policy toward American United State.

We find that the relation have unbalance attribute relate in structure method of the third Saudi Arabia state that different of the first one which established according to a local deal between a cleric man and a tribe sheik while the third state building according a mix of local , region and international facts. The fails of the foreign policy of first state reflects negatively on the mind of third state decision maker. This fear pushes him to try to protect his state by enforce its relation with international powers neglecting its sovereignty which make him weak in many fields.

Saudi Arabia foreign policy will be always an important subject need to understand from us because it's an important state in the region.